



مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة و الأدب العربي
تخصص أدب حديث و معاصر

آليات التحفيز في خطابات المقاومة قراءة
اسلوبية ثورة الشرفاء لمفدي زكرياء
أنموذجا

إشراف:

الأستاذة: سلس حفيضة

إعداد:

الطالبة: جلايلي فاطمة

الصفة	اسم الجامعة	الرتبة/ الاسم و اللقب
رئيساً	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	د/ قاضي الشيخ
مشرفاً و مقررأ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	د/ سلس حفيضة
عضواً	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	د/ معمر عبد الله



الفهرس

I.....	الفهرس
IV	قائمة الجداول
V	الشكر
VI	الاهداء
VII	الملخص باللغة العربية
VIII	الملخص باللغة الإنجليزية
أ.....	المقدمة
أ.....	اولاً: إشكالية البحث
ب.....	ثانياً: فرضيات البحث
ب.....	ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع والدوافع
ب.....	رابعاً: المنهج المعتمد
ج.....	خامساً: الصعوبات التي واجهت البحث
ج.....	سابعاً: تقسيم وخطة الموضوع
5.....	الفصل الأول: الإطار النظري لمفاهيم المقاومة والأسلوبية
6.....	المبحث الأول: خطابات المقاومة
6.....	المطلب الأول: مفهوم المقاومة واشكالها
7.....	أولاً: مفهوم المقاومة
9.....	ثانياً: أشكال المقاومة

المطلب الثاني: خصائص خطاب المقاومة	19
أولاً: الانغراس في الواقع التاريخي والاجتماعي	19
ثانياً: الوظيفة الإقناعية والتوجيهية	21
ثالثاً: حضور الأدلة والروابط المنطقية	23
رابعاً: الرؤية الذاكراتية (استحضار الأمجاد والرموز)	24
المبحث الثاني: الاسلوبية وادواتها التحليلية	27
المطلب الاول: مفهوم الأسلوب والاسلوبية	28
اولاً: المفهوم التاريخي للأسلوب (من الذاتية إلى النظم):	28
ثانياً: نشأة الأسلوبية وتطورها (من المعيارية إلى الوصفية):	28
ثالثاً: الأسلوبية الحديثة: النشأة، المرتكزات، والتحويلات	29
المطلب الثاني: مستويات التحليل الاسلوبي	31
اولاً: المستوى الدلالي:	31
ثانياً: المستوى الإيحائي:	31
ثالثاً: المستوى التركيبي:	31
رابعاً: المستوى البلاغي:	32
المطلب الثالث: الخطاب وتحليل الخطاب	32
اولاً: ماهية الخطاب وعلاقته بالسياق (الزمان والمكان والإنسان):	32
ثانياً: آليات التأثير والإقناع (استراتيجيات المحاجة):	33
ثالثاً: الخطاب كأداة لمواجهة النسيان:	34

36	الفصل الثاني: آليات التحفيز في خطاب المقاومة، المستوى المضموني وطرائق التأثير
37	المبحث الاول: الاستراتيجيات الحجاجية والقوة التأثيرية في خطاب المقاومة
38	المطلب الاول: النداء والتحريض
38	سيمياء النداء: استدعاء الهوية واستنفار الوعي
39	التحريض: من لغة الإقناع إلى لغة الاندفاع
39	التداخل الوظيفي بين النداء والتحريض (جدلية القول والفعل)
40	المطلب الثاني: بناء الانا والآخر
40	تجليات الـ (أنا) الجماعية: من ضمير الفرد إلى رَجم الأمة
41	صورة الـ (آخر): تفكيك المركزية ونزع هالة القداسة
41	جدلية الصراع اللغوي: المسافة المطلقة بين الحق والباطل
42	المطلب الثالث: الحجج العقلية والعاطفية
42	الحجج العقلية (اللوغوس): برهان الحق وسلطة المنطق
43	الحجج العاطفية (الباثوس): اشتعال الوجدان وصناعة الصمود
43	التأزر الأسلوبي: حين يغدو المنطق شاعرياً
44	المطلب الرابع: صناعة الهوية الجماعية
44	الخطاب بوصفه بوتقة للصهر: من "الأننا" الشتات إلى "النحن" القلعة
44	الذاكرة كفعل مقاومة: استحضار الأمجاد في وجه التبديد
45	هوية "الفعل": الانتماء بوصفه التزاماً وجودياً
46	المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة

المطلب الأول: الرموز الوطنية	47
المطلب الثاني: الرموز الدينية	49
المطلب الثالث: الرموز التاريخية والبطولية	50
المطلب الرابع: الدلالة الإيحائية في الخطاب المقاوم	52
الفصل الثالث: آليات التحفيز الأسلوبية في النصوص المقاومة المقترحة في كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي - [قصيدة ثورة الشرفاء] لمفدي زكريا أنموذجاً -	57
1. الثورة الجزائرية في أشعار الشعراء	57
2. آليات التأثير والإقناع في قصيدة "ثورة الشرفاء":	66
الخاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	71
الملاحق	74

قائمة الجداول

الجدول رقم 1 يوضح طبيعة الرموز الموظفة ودلالاتها الإيحائية في قصيدة "ثورة الشرفاء".	68
---	----

الشكر

الحمد لله العليّ القدير الذي وفّقني، وبنعمته وهدايته تمّ هذا العمل،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير، وأقوى معاني الامتنان، إلى
الأستاذة المشرفة الفاضلة سلس حفيضة، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيمة،
ونصائحه السديدة، وصبره الطويل طيلة فترة إنجاز هذا البحث، فكان نعم
الموجه والقوة الأكاديمية.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة
المناقشة المحترمين، الذين تشرفتم بقبولهم تقييم هذا العمل المتواضع
وتصويبه بأرائهم العلمية النيرة.

ولا يفوتني أن أتوجه بجميل الشكر إلى كل من مدّ لي يد العون
والمساعدة من قريب أو من بعيد، وإلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات
الذين أناروا لنا دروب العلم والمعرفة.

إلى الجميع.. شكراً يمتدّ ولا ينقطع.

الاهداء

إلى من يملكون في قلبي مقاماً لا تطاله الكلمات، وفي روعي أثراً
لا يمحوه الزمن..

إلى والدي الغالية.. نبغ العنان والدعاء، وسندي الذي اتكأْتُ
عليه في كل حين، مَنْ سهرت لراحتي وأضاءت بدعواتها غتمة طريقي،
حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى أبي الغالي. مَنْ غرس فيّ طموح العلم والنجاح، وَمَنْ يرافقتني
طيفه في كل خطوة، أهدي هذا النجاح له

إلى إخوتي وأخواتي.. وعائلتي الكريمة، مَنْ كانوا لي سنداً
ومصدر تفاؤل ودعم مستمر.

إلى كل الأصدقاء والزلاء الأوفياء.. مَنْ شاركوني لحظات الجد
والتعب، وبادلوني صدق المشاعر.

أهدي إليكم جميعاً ثمرة جدي وعلمي.

الملخص باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز آليات التحفيز الأسلوبية لخطاب المقاومة في الكتاب المدرسي الجزائري وقد اتخذت الدراسة قصيدة "ثورة الشرفاء" لمفدي زكرياء المطروحة في كتاب اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي نموذجاً. واعتمد البحث على المنهج الوصفي لتفكيك بنية النص الأسلوبية على مستويات عدة: الدلالية، التركيبية، البلاغية والرمزية. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: إدراج النص المقاوم يسعى بفاعلية إلى بناء وعي ثقافي وقيمي لدى المتعلم، وأن مفدي زكرياء نجح بفضل "الصنعة اللفظية" وتوظيف الحجاج العقلية والعاطفية والرموز الطبيعية والدينية في تحويل النص الشعري إلى طاقة تحفيزية إقناعية قادرة على بعث في المتعلم روح حُب الوطن والدفاع عنه.

الكلمات المفتاحية: خطاب المقاومة، الأسلوبية، ثورة الشرفاء، مفدي زكرياء.

الملخص باللغة الإنجليزية

This study aims to highlight the stylistic mechanisms that motivate resistance discourse in Algerian textbooks. The study took the poem “The Revolution of the Honorable” by Mufdi Zakaria—included in the Arabic Language and Literature textbook for the third year of secondary school—as a case study. The research employed a descriptive approach to analyze the text’s stylistic structure at several levels: semantic, syntactic, rhetorical, and symbolic. The study reached a number of conclusions, most notably: The inclusion of resistance literature effectively seeks to build cultural and moral awareness among learners, and that Mufdi Zakaria succeeded—thanks to his “verbal craftsmanship” and the use of rational and emotional arguments as well as natural and religious symbols—in transforming the poetic text into a motivational and persuasive force capable of instilling in learners a spirit of patriotism and the will to defend their homeland.

Keywords: resistance discourse, stylistics, Revolution of the Honorable, Mufdi Zakaria .

المقدمة

المقدمة

يعد الخطاب الأدبي بصفة عامة ، وبخاصة الشعري منه ، من أبرز الوسائل التي واكبت حركة التحرر العربي، إذ لم يكن النص المقاوم مجرد توثيق للمعارك، بل كان أداة شحن وبناء للهوية الوطنية وتخليد للقيم الروحية والثورية .ولما كان للمدرسة دور جوهري في نقل هذا الإرث الحضاري عبر الأجيال، فقد أولت أهمية بالغة لإدراج نصوص المقاومة ضمن المناهج التعليمية، لربط المتعلم بذاكرته التاريخية من جهة، وتنمية ملكاته اللغوية والأسلوبية من جهة أخرى ليصبح قادراً على فهم الرسائل المشفرة المبتوثة في خطاب المقاومة لدى الشعراء والأدباء .ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على آليات الخطاب الشعري التحرري، واتخذنا من كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي نموذجاً تطبيقياً، وتحديدًا قصيدة "ثورة الشرفاء" للشاعر الثورة مفدي زكرياء، مستعينين بأدوات التحليل الأسلوبي والبلاغي للوقوف على أبعاد هذا الخطاب وأثره.

أولاً: إشكالية البحث

لتأطير هذا العمل الأكاديمي، تم صياغة الإشكالية المحورية التالية:

ما هي آليات التحفيز الأسلوبية والبنائية التي تميز خطاب المقاومة في المنظومة التربوية الجزائرية؟ وكيف ساهمت قصيدة "ثورة الشرفاء" لمفدي زكرياء في كتاب السنة الثالثة ثانوي في ترسيخ قيم الثورة والتحرر لدى المتعلم وفق المقاربة بالكفاءات؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الجزئية التالية:

- ما هي آليات التحفيز الأسلوبية التي تميز خطاب المقاومة؟
- كيف ساهمت قصيدة "ثورة الشرفاء" لمفدي زكرياء في كتاب السنة الثالثة في ترسيخ قيم الثورة والتحرر لدى المتعلم؟

ثانيا: فرضيات البحث

- بناءً على الأسئلة المطروحة، وضعنا الفرضيات الآتية لتمثّل موجّهاً مسار الدراسة:
- الفرضية الأولى: إدراج نصوص المقاومة في المنظومة التربوية ليس عفويّاً، بل يخضع لغايات بيداغوجية تهدف لبناء الكفاءة القيمية والتواصلية للمتعلم.
 - الفرضية الثانية: تمتاز قصيدة "ثورة الشرفاء" ببنية أسلوبية مكثفة قادرة على الانتقال بالمتعلم من لغة الاستهلاك البسيطة إلى لغة الإيحاء والرمز.
 - الفرضية الثالثة: المزج بين الحجج الدينية والتاريخية في القصيدة ساهم بشكل قطعي في إكساب الخطاب قدسية أثّرت في وجدان المتلقي وعقله معاً.

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع والدوافع

تتداخل في اختيارنا لهذا الموضوع دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

▪ الدوافع الذاتية :

الرغبة في دراسة شعر الثورة الجزائرية وتحديدًا عند مفدي زكرياء الأسلوبية، والشغف بالبحث وكيفية تقديم النصوص الأدبية في المناهج الرسمية.

▪ الدوافع الموضوعية :

مواكبة التوجهات الحديثة للجامعة في ربط الدرس اللساني الأسلوبي، والحاجة إلى تبيان القيمة البيداغوجية للنص المقاوم في ظل تعزيز روح المواطنة.

رابعا: المنهج المعتمد

فرضت طبيعة الموضوع التكامل المنهجي؛ حيث اعتمدنا على:

- المنهج الوصفي التحليلي: في تتبع نصوص المنهاج وتحليل الظواهر الأسلوبية والرموز داخل قصيدة "ثورة الشرفاء" وتفكيك مستوياتها اللغوية.

- الأدوات البيداغوجية النقدية: لاستنتاج مدى موافقة النص لمتطلبات المقاربة بالكفاءات وتحقيق الأهداف التربوية المسطرة.

خامسا: الصعوبات التي واجهت البحث

- لم يخل مسار البحث من بعض العقبات، لعل أبرزها:
- ندرة المراجع التي تزوج بين التحليل الأسلوبي المحض للقصيدة وبين البُعد التعليمي التربوي للكتاب المدرسي في آن واحد.
- صعوبة الإحاطة الشاملة بكل معطيات "الصنعة اللفظية" لدى مفدي زكرياء وتصنيف الرموز المتداخلة (طبيعية، دينية، تاريخية) ضمن جدول محدد وموجز.
- الجهد المبذول في مطابقة النصوص والمناهج الصادرة عن وزارة التربية الوطنية مع النظريات اللسانية الحديثة.

سادسا: الدراسات السابقة

- اطلعت الباحثة على عدة بحوث مهدت الطريق لهذه الدراسة، ومنها:
- دراسة (محمد ناصر): "مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة"، والتي ركزت على البُعد التاريخي والسياسي في حياة ونشأة الشاعر دون الخوض في الجانب التعليمي والتربوي لنصوصه في الكتب المدرسية الحديثة.
- مذكرة ماستر (زوبيدة غزال): "مفدي زكرياء نضاله السياسي في الحركة الوطنية"، والتي أفادت البحث في تتبع نشأة الشاعر وتشكل وعيه الثوري والسياسي بربطه ببيئته التونسية والجزائرية.
- وحاولت دراستنا الراهنة التميز عن غيرها من خلال إسقاط هذه الأبعاد الأسلوبية والتاريخية مباشرة على "مفهوم المقاربة بالكفاءات" في المنظومة التربوية المعاصرة.

سابعا: تقسيم وخطة الموضوع

جاءت المذكرة مقسمة بـ هندسة تكاملية بين النظري والتطبيقي في ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: تناول الإطار النظري للمقاربة بالكفاءات في المنظومة التربوية الجزائرية وآليات إدراج النصوص الأدبية.
- الفصل الثاني: ركّز على الحجاج والرموز في خطاب المقاومة من الناحية الأسلوبية والنظرية.
- الفصل الثالث التطبيقي: خُصّص لتحليل آليات التحفيز الأسلوبية في كتاب السنة الثالثة ثانوي، من خلال دراسة تطبيقية شاملة لقصيدة "ثورة الشرفاء" لمفدي زكرياء (مستويات العنوان، الحقول الدلالية، الرموز، والحجج)، تلاها استنتاج عام لنتائج البحث.

الفصل الأول: الإطار النظري لمفاهيم المقاومة والأسلوبية

المبحث الأول: خطابات المقاومة

المبحث الثاني: الأسلوبية وأدواتها التحليلية

الفصل الأول: الإطار النظري لمفاهيم المقاومة والأسلوبية

يفتح هذا الفصل مساراً بحثياً يسعى لضبط الإطار المفاهيمي للمقاومة والأسلوبية، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة في مسيرة التحرر الإنساني. إننا هنا لا ندرس نصوصاً جامدة، بل ندرس فعل المقاومة في تجلياته المختلفة عبر الزمن.

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين جوهريين، حيث يركز المبحث الأول على "خطاب المقاومة" كظاهرة تاريخية واجتماعية، ونستعرض فيه عبر المطلب الأول ماهية المقاومة وأشكالها المتعددة التي لم تقتصر يوماً على المواجهة العسكرية فحسب؛ بل امتدت لتشمل المقاومة السياسية التي أدارت الصراع في المحافل الدولية، والمقاومة الثقافية التي حصنت الهوية من التذويب، وصولاً إلى المقاومة الفكرية والأدبية التي صاغت الوجدان الجمعي ورسمت خارطة الطريق نحو الحرية¹.

ثم ننتقل في المطلب الثاني من المبحث ذاته لتشريح خصائص خطاب المقاومة، حيث نغوص في الواقع التاريخي والاجتماعي الذي ولد من رحم هذا الخطاب، ونحلل الوظيفة الإقناعية والوظيفة التوجيهية التي لعبها الخطاب في تعبئة الجماهير، مع رصد دقيق لكيفية حضور الأدلة والرؤية الذكرية (أو الذكراوية) التي استحضرَت الأمجاد الغابرة لخدمة معارك الحاضر.

أما المبحث الثاني، فينتقل بنا إلى الأداة التحليلية لهذا التاريخ، وهي "الأسلوبية وأدواتها التحليلية". ففي المطلب الأول، نؤصل تاريخياً لمفهوم الأسلوب والأسلوبية، متتبعين التطور التاريخي لحكم الأسلوب وصولاً إلى الأسلوبية الحديثة التي منحتنا مفاتيح فهم النص المقاوم².

وفي المطلب الثاني، نقوم بعملية "تفكيك تاريخي" للنص عبر مستويات التحليل الأسلوبي، بدءاً من المستوى المعجمي الذي يعكس بيئة الصراع، والمستوى التركيبي الذي يظهر قوة الإرادة، وصولاً إلى المستويات البلاغية، والإيقاعية، والدلالية التي شكلت في مجموعها هوية الخطاب التاريخي.

¹ محمد ناصر، المقاومة الجزائرية وآدابها، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص ص 45-52.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، تونس، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982، ص 118.

ويختتم الفصل بالمطلب الثالث، الذي يربط بين الخطاب وتحليل الخطاب، موضحاً علاقة الخطاب بالسياق (الزماني والمكاني والسياسي)، وكيف تحولت آليات التأثير لإقناع الجماهير بعدالة القضية واستمرارية النضال.

إن هذا الفصل يمثل الحجر الأساس لفهم كيف تحول "الحرف" إلى "رصاصة" في وجه الاستعمار، وكيف صان "الأسلوب" الذاكرة الوطنية من النسيان والاندثار¹.

المبحث الأول: خطابات المقاومة

إن دراسة التاريخ لا تستقيم إلا باستنطاق الألسنة التي نطق بها الثوار، والكلمات التي دُوت في خضم الصراع؛ إذ يمثل خطاب المقاومة الوثيقة الحية التي تترجم إرادة الشعوب في الانعتاق من قيود الاستعمار والتبعية. إننا في هذا المبحث بصدد تفكيك هذه الظاهرة من منظور تاريخي تحليلي، حيث نسعى أولاً في المطلب الأول: مفهوم المقاومة وأشكالها إلى ضبط المصطلح وتتبعه في سياقه الزماني، معرجين على تجلياته المختلفة التي تراوحت بين المقاومة المسلحة والمقاومة الثقافية والسياسية، لنبين كيف كانت "المقاومة" مفهوماً شاملاً لم يترك حيزاً من حياة الشعوب إلا وشغله.

وبناءً على هذا التأصيل المفاهيمي، ننتقل في المحطة الموالية إلى رصد ماهية هذا الخطاب وتأثيره من خلال المطلب الثاني: خصائص خطاب المقاومة؛ حيث سنسلط الضوء على السمات البنيوية والفنية التي منحت هذا الخطاب قدرته على الصمود أمام محاولات "النسيان والاندثار".

وسنحل هنا كيف استمد الخطاب قوته من الواقع التاريخي والاجتماعي، وكيف وظّف الأدوات الإقناعية والتوجيهية ليتحول من مجرد نص لغوي إلى قوة محركة للجماهير وصانعة للحدث التاريخي، مع التركيز على دور "الذاكرة" في تثبيت الحقوق واسترجاع السيادة الوطنية.

المطلب الأول: مفهوم المقاومة وأشكالها

لا يمكن قراءة التاريخ البشري بمعزل عن فعل "المداغة"؛ فالمقاومة هي الاستجابة الطبيعية والواعية لكل فعل استعماري أو تسلطي يهدف إلى طمس الكيانات الوطنية. إنها ليست مجرد رد فعل عشوائي، بل

¹ عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002، ص 15،

هي "صناعة تاريخية" تتشكل من التقاء الوعي بالهوية مع الرغبة في التحرر، وهي المحرك الأساسي الذي نقل الشعوب من حالة الاستلاب إلى حالة السيادة.

أولاً: مفهوم المقاومة

قبل الخوض في المقاربات السوسيولوجية والتاريخية، يجب ضبط المصطلح من منبعه اللغوي¹:

❖ المقاومة لغة :

مشتقة من الفعل (قام)، وقاومه في المصارعة وغيرها أي "قام له"، وتقيد المواجهة والممانعة وعدم الاستسلام. وجاء في "لسان العرب" لابن منظور: "قَوَّم الشيء تقويماً أي عدّله، والمقاومة هي القيام في وجه الخصم لردعه."

❖ المقاومة اصطلاحاً :

هي المجهود الذي يبذله الفرد أو الجماعة لصد عدوان خارجي أو تغيير واقع مفروض بالقوة، وهي حق مشروع تكفله القوانين الوضعية والشرائع السماوية للشعوب الرازحة تحت الاحتلال. تتعدد المقاربات لتحديد ماهية المقاومة، ويمكن رصدها من الزوايا التالية:

❖ المفهوم التاريخي²:

هي الحراك الشعبي والمنظم الذي يهدف إلى استعادة السيادة الوطنية المسلوبة، وإعادة بعث الكيان التاريخي للأمة بعد تعرضه لقطيعة استعمارية.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1994،

مادة (ق وم)، ص 523.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، كتاب، دار الغرب الإسلامي، لبنان - بيروت، د.ت، ج1، ص15-20.

يؤكد د. أبو القاسم سعد الله أن المقاومة هي الخيط الرابط الذي يمنع انقطاع الذاكرة الوطنية. فالمستعمر يحاول دائماً إحداث "بتر تاريخي" (أي إقناع الشعب بأن تاريخه بدأ مع الاستعمار)، فتنأتي المقاومة لتعيد ربط الحاضر بالماضي السيادي المجيد.

❖ المفهوم اللغوي والأسلوبي¹:

هي "الخطاب الرفض" الذي يتخذ من اللغة وسيلة لتقويض شرعية المحتل، وإعادة بناء الهوية عبر النص المكتوب أو المنطوق.

❖ المفهوم السوسيولوجي (الاجتماعي)²:

هي قدرة المجتمع على الحفاظ على تماسكه القيمي والديني واللغوي في مواجهة عمليات "المحو والفرنسة" أو التدويب الثقافي.

إن المقاومة من منظور اجتماعي ليست مجرد فعل حربي، بل هي "فعل بقاء". يرى فرانتز فانون أن المجتمع الواقع تحت الاحتلال يطور آليات دفاعية لا شعورية؛ فالحفاظ على الزي التقليدي، وإحياء المناسبات الدينية، والتمسك باللغة الأم، كلها أفعال "مقاومة سوسيولوجية" تهدف إلى خلق جدار عازل يمنع اختراق المحتل للنسيج المجتمعي. إنها معركة "الأنا الجماعية" ضد "الآخر الدخيل".

نحن نرى أن المقاومة، في جوهرها البحثي ضمن هذه الدراسة، ليست مجرد صدام مادي أو مواجهة ميدانية، بل هي فعل استمرارية حضاري يتجسد في قدرة الذات الجماعية على إنتاج خطاب لغوي وفكري يتسم بالممانعة.

¹المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، تونس، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982، ص 118.

² فانون، فرانتز، سوسيولوجية ثورة، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 1970، ص 32.

إنها عملية تحويل الرفض من شعور وجداني إلى بنية أسلوبية منظمة تقوض أركان الخطاب الاستعماري، وتعمل على استعادة السيادة الرمزية قبل المادية، محولة اللغة من أداة تواصل إلى خندق للمواجهة وحسن للذاكرة ضد النسيان والاندثار¹.

ثانياً: أشكال المقاومة

إن المقاومة في جوهرها التاريخي ليست قالباً جامداً أو فعلاً أحادياً، بل هي ظاهرة مرنة تتلون بتلون الظروف الزمانية والمكانية والموازن العسكرية. فإذا كان الاستعمار يمثل استلاباً كلياً (عسكرياً، سياسياً، ثقافياً، وجغرافياً)، فإن المقاومة جاءت كفعل مضاد كلي أيضاً.

لقد تشكلت أشكال المقاومة في نسق متكامل؛ فبينما كانت الرصاصة تخاطب الميدان، كان القلم يخاطب الوعي، وكانت الدبلوماسية تخاطب المحافل الدولية. هذا التعدد ليس تشتتاً، بل هو توزيع للأدوار النضالية؛ حيث تُعد كل وسيلة نضالية خندقاً مستقلاً يصب في نهر التحرير الشامل. إن المقاومة أشكالاً متداخلة في التاريخ، لا يمكن فصل أحدها عن الآخر:

❖ المقاومة السياسية²:

1. التعريف :

هي النضال الذي يتم عبر المؤسسات، الأحزاب، والجمعيات، ويهدف إلى إخراج المحتل قانونياً ودولياً، وتعبئة الجماهير سلمياً. وهي الجهد النضالي المنظم الذي يتخذ من العمل الحزبي، والجمعي، والدبلوماسي وسيلة لمقاومة الاحتلال في ميادين الحقوق والقوانين.

هي معركة إثبات الحق عبر المنطق السياسي، وتهدف إلى نزع القناع الأخلاقي والقانوني عن المستعمر أمام الرأي العام الداخلي والعالمي. تعتمد هذه المقاومة على التعبئة الجماهيرية ونشر الوعي الوطني وتحويل المطالب الشعبية من صرخات متفرقة إلى برامج سياسية واضحة وموثيق وطنية.

¹ سعيد، إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4، 1997، ص 251.

² بوحوش، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص 243.

2. المثال التاريخي:

نشاط الحركة الوطنية الجزائرية (حزب الشعب، جمعية العلماء المسلمين) في مطلع القرن العشرين. في مطلع القرن العشرين، وبعد خمود المقاومات الشعبية المسلحة الكبرى، انتقل الشعب الجزائري إلى مرحلة النضال السياسي لضرورة تاريخية. وتمثلت هذه المرحلة في:

- المسار الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين): التي ركزت على مقاومة "المحو الثقافي" وبناء الإنسان الجزائري الواعي بانتمائه، وهي مقاومة سياسية بصيغة اجتماعية.
- المسار الاستقلالي (حزب الشعب الجزائري / حركة انتصار الحريات الديمقراطية): الذي نقل القضية إلى الشارع عبر المظاهرات والمطالبات الصريحة بالاستقلال، مما أخرج فرنسا في شعاراتها (الحرية، المساواة، الإخاء).

3. الوظيفة الإستراتيجية للمقاومة السياسية:

- عزل المحتل دولياً: عبر فضح ممارساته العنصرية في المحافل الدولية والمؤتمرات.
- إعداد الكوادر: كانت الأحزاب السياسية بمثابة "المدرسة" التي تخرج منها قادة الثورة المسلحة لاحقاً.
- الحفاظ على الوحدة الوطنية: من خلال توحيد الشعب خلف مطالب سياسية موحدة، مما منع المستعمر من تفتيت النسيج الاجتماعي.

❖ المقاومة الثقافية¹:

1. تعريف

هي خندق الدفاع الأخير عن الشخصية الوطنية، وتتمثل في الحفاظ على اللغة، الدين، والتراث الشعبي لمنع المحتل من تحقيق الاندثار الثقافي وهي فعل ممانعة وجودي تتبناه المجتمعات الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية لحماية مقومات شخصيتها الوطنية من الذوبان.

¹ سعيد، إدوارد، مرجع سابق، ص 251.

هي ليست مجرد تمسك بالماضي، بل هي استراتيجية نضالية تهدف إلى إبطال مفعول الاستعمار الذهني الذي يسعى لتحطيم اللغة والدين والتراث. إنها المعركة التي تدور في العقول والبيوت والمساجد والأسواق، حيث يصبح التمسك بعادة التقليدية أو الكلمة العربية فعلاً ثورياً يكسر هيمنة المحتل الثقافية

2. المثال التاريخي

في مواجهة سياسة الفرنسية الممنهجة التي حاولت جعل الجزائر مقاطعة فرنسية لساناً وفكرًا، لعبت المؤسسات التقليدية دوراً استراتيجياً:

- الزوايا والكتاتيب: لم تكن مجرد دور للعبادة، بل كانت "قلاعاً للغة العربية". ففي الوقت الذي كان فيه المحتل يسد أبواب المدارس الرسمية في وجه الجزائريين، كانت الكتاتيب تخرج أجيالاً تتقن القرآن واللغة، مما خلق حالة من "الاستعصاء الثقافي" أمام المشروع الاستيطاني.
- تحويل "المقدس" إلى "مقاوم": ارتبطت اللغة العربية بالدين، فأصبح الحفاظ عليها واجباً شرعياً ووطنياً في آن واحد. هذا التلاحم بين (اللغة والدين) هو الذي منع "الاندثار الثقافي" الذي نجح المحتل في تطبيقه في مستعمرات أخرى لكنه انكسر على صخرة الوعي الشعبي الجزائري.

3. الوظيفة الاستراتيجية للمقاومة الثقافية:

- تتجاوز المقاومة الثقافية كونها مجرد حفظ للتراث لتلعب أدواراً حاسمة في المسار التاريخي:
- منع الاغتراب النفسي: تحمي الفرد من الشعور بالدونية أمام ثقافة المحتل، مما يحافظ على "روح التمرد" حية في النفوس.
 - بناء "الجهة الداخلية": توحيد الشعب حول منظومة قيمية واحدة، مما يجعل المجتمع "كتلة صماء" لا تقبل الاختراق أو التقسيم.
 - الاستمرارية عبر الزمن: المقاومة العسكرية قد تهدأ أو تخسر معركة، لكن المقاومة الثقافية تضمن بقاء "القضية" حية عبر الأجيال، فهي التي تُورث الأبناء حلم الحرية وهوية الأجداد.
 - تجريد المستعمر من شرعيته: حين يرفض الشعب ثقافة المحتل، فإنه يؤكد يومياً أن وجود هذا المحتل هو "وجود قسري" عابر، وليس قدراً محتوماً.

❖ المقاومة الفكرية والأدبية¹:

لم تكن المقاومة الأدبية في الوطن العربي مجرد صدى عابر للأحداث السياسية، بل شكلت جبهة نضالية حقيقية خاضها المبدع العربي بسلح الكلمة. وقد توزعت هذه المقاومة على أنماط تعبيرية وفنون أدبية متعددة، امتلك كل منها آليات أسلوبية ووظائف استراتيجية خاصة في معركة الوعي والتحرر.

❖ المقاومة في الخطاب الشعري العربي

يُعدّ الشعر الأداة الأدبية الأكثر حضوراً وتأثيراً في الوجدان الجمعي العربي؛ نظراً لخصائصه الإيقاعية وسرعة تداوله وحفظه، حيث تحول من فضاء الذاتية الجمالية إلى "خطاب تعبوي جماهيري":

- شعر المقاومة والتحريض: برزت القصيدة كبيان ثوري يمتلك سلطة توازني سلطة السلاح؛ فإلى جانب ديوان الثورة الجزائرية الذي صاغه الشاعر مفدي زكرياء، شكّل شعر المقاومة الفلسطيني مع محمود درويش وسميح القاسم خط دفاع أيديولوجي يرسخ الأرض والهوية.
- الخصائص الأسلوبية للبنية الشعرية:
 - سيادة النبرة الخطابية الحماسية المشحونة بطاقة إقناعية عالية تهدف لاستنهاض الهمم.
 - الانزياح من التقريرية المباشرة إلى رحابة اللغة الإيحائية من خلال الرموز الطبيعية (الفجر، النار) والرموز الدينية والتاريخية.
 - الاعتماد على البحور الشعرية ذات الإيقاع المتدفق والروي المجلجل لتأكيد سلطة الرفض².

❖ المقاومة في الفن المقال (الصحافة الأدبية)

¹ ناصر، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها وتطورها (1830-1962)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ج1، ص 115.

² كنفاني، غسان، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948 - 1966، بيروت، دار الآداب، ط1، 1966، ص ص. 17-35.

يمثل المقال الأدبي والسياسي السلاح الفكري المباشر والأسرع في مواجهة المخططات الاستعمارية وتوجيه الرأي العام، حيث خاض معركة الوعي اليومية بكفاءة عالية.

- المقال كأداة لبناء التحصين الثقافي: تجلّى هذا الفن في أبهى صوره مع مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة "البصائر" الجزائرية، ومقالات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مجلة "العروة الوثقى". ركزت هذه النصوص على "الهندسة الفكرية" لإعادة بناء الشخصية الوطنية وحمايتها من مشاريع الفرنسة والإدماج والتغريب.

■ الخصائص الأسلوبية للمقال المقاوم:

تميز الأسلوب بالجزالة اللغوية والمتانة التركيبية التي تحول اللفظ إلى قذيفة فكرية. الاعتماد الصارم على آليات الحجاج العقلي والمنطقي لنزع الأقنعة الحضارية عن وجه المستعمر وكشف زيف ممارساته¹.

❖ المقاومة في الفن القصصي والروائي

إذا كان الشعر يلهب العواطف والمقال يخاطب العقول، فإن السرد القصصي والروائي عمل على توثيق المعاناة الإنسانية وإعادة بناء الذاكرة التاريخية "لحمايتها من التشويه والاندثار والنسيان.

- تجسيد الواقع الثوري سردياً: برزت المقاومة السردية في الوطن العربي عبر محطات تاريخية كبرى؛ كأعمال غسان كنفاني رجال في الشمس، عائد إلى حيفا التي أسست لأبعاد القضية إنسانياً، وروايات الطاهر وطار اللّازر، وعبد الحميد بن هدوقة (ريح الجنوب) التي واكبت الثورة التحريرية الجزائرية ورصدت عمق التحولات الاجتماعية المصاحبة لها.

■ الخصائص الأسلوبية للقصة المقاومة:

¹ ناصر، محمد، المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها وتطورها (1830-1962)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ج2، ص ص. 110-125.

- بناء الشخصيات الرمزية وتتبع تحول الفرد من حالة الامتثال والخضوع إلى حالة الوعي والتمرد.

- توظيف تقنيات السرد الواقعي والرمزي لتصوير بشاعة المستعمر وتخليد تضحيات الشرفاء¹.

❖ المقاومة في الخطاب المسرحي

يُمثل المسرح شكل المقاومة الأكثر التهاماً بالفضاء العام والاحتكاك المباشر بال جماهير؛ نظراً لطبيعته الحركية والشفهية التي تكسر عقبة الأمية، مما يجعله أداة تعبوية بالغة الأهمية.

- المسرح كمنبر للتوعية والتحريض: عَرَفَ الوطن العربي "المسرح المقاوم" من خلال إسقاط التراث والتاريخ على الواقع المعيش، مثل أعمال سعد الله ونوس حفلة سمر من أجل خمسة حزيران، والمسرح الثوري في الجزائر الذي واكب الكفاح المسلح ونقل صدى القضية الوطنية إلى المحافل الدولية برعاية فرقة جبهة التحرير الوطني.
- الخصائص الأسلوبية للمسرح المقاوم:

- الاعتماد على الحوارات المكثفة والمفارقات الدرامية المشحونة بالإسقاطات السياسية.
- توظيف تقنية "المسرح داخل المسرح" وكسر الجدار الرابع لتحويل المتلقي من موضع المشاهد السلبي إلى شريك في الفعل التحرري².

¹ وادي، طه، صورة الثورة في الرواية العربية الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1993، ص ص. 45-68.

² إسماعيل، عز الدين، المسرح العربي المعاصر: قضايا وظواهره الفنية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1986، ص ص. 210-235.

❖ المقاومة العسكرية (المسلحة)¹:

1. التعريف:

هي ذروة العمل المقاوم، وتتمثل في المواجهة المباشرة ضد قوات الاحتلال لفرض واقع ميداني يجبر العدو على الانسحاب. كما تعرف المقاومة العسكرية أو الكفاح المسلح بأنها الأسلوب النضالي الأكثر راديكالية، وتتمثل في استخدام القوة المادية المنظمة (العمليات الفدائية، حرب العصابات، المواجهات النظامية) لكسر شوكة المحتل. هي المرحلة التي ينتقل فيها الشعب من الرفض القولي إلى الرفض الفعلي، وتهدف استراتيجياً إلى جعل كلفة الاحتلال (بشرياً ومادياً) تفوق مكاسبه، مما يدفعه في النهاية إلى الجلاء والاعتراف بالسيادة الوطنية. إنها الوسيلة التي تحول الحق التاريخي إلى واقع جغرافي على الأرض.

2. المثال التاريخي:

شهد التاريخ الجزائري تطوراً نوعياً في هذا الشكل من المقاومة:

- مقاومة الأمير عبد القادر: تمثل مرحلة "تأسيس الدولة المقاومة". لم تكن مجرد مواجهة عسكرية عفوية، بل كانت تنظيمياً جيشاً حديثاً اعتمد على استراتيجية "الأرض المحروقة" والكر والفر، مما أجبر فرنسا على توقيع معاهدات (مثل دي ميشال والتافنة). إنها تجسيد للمقاومة التي ترفض الاندثار عبر بناء المؤسسات العسكرية.
- ثورة أول نوفمبر 1954: هي "المعجزة العسكرية" التي نقلت المقاومة من الطابع الجهوي إلى الطابع الوطني الشامل. تميزت بتنظيم "جيش التحرير الوطني" الذي استطاع مواجهة

¹ بوعزيز، يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، عين مليلة (الجزائر)، دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع، 1991، ص 14.

رابع قوة عسكرية في العالم بأسلحة بسيطة ولكن بإرادة صلبة. هذه الثورة هي التي وضعت حداً نهائياً لأسطورة "الجزائر الفرنسية" وحققت الاستقلال التام¹.

❖ الدعامة النصية والأدبية لخطاب المقاومة المسلحة:

■ أولاً: مرحلة مقاومة الأمير عبد القادر

- الشاهد الشعري للأمير عبد القادر:

لنا في كُلِّ مَكْرَمَةٍ طَرِيقٌ ... وَعَنْ ضَيْمِ الْعِذَا لَنَا انْفِصَالٌ سَلُّوا عَنَّا فَرَنْسَا مَنْ رَأَتْنا ... يَشِيبُ لِرُؤْيَا
الشَّيْبِ الْأَطْفَالُ فَلَمْ نَكْ هَمُّنا جَمْعُ الْمَوَاشِي ... وَلَا السَّعْيُ الَّذِي فِيهِ الْمَالُ وَلَكِنْ هَمُّنا ضَرْبُ الْعِدَاةِ ...
بِيبِضٍ فِيهِ لِلْأَجَلِ اسْتِعْجَالٌ²

- الشاهد المقال (رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال بيجو):

"لو جئتي بكل عساكر فرنسا، ولو انضمت إليك كُلُّ شعوب أوروبا، وأردت أن تُجبرني على الخضوع والنزول عن حقي، لقاتلتك بيدي وحدي، ولن أرضى بغير الحرب في سبيل الله والوطن، فإن أرضنا واسعة، والكرُّ والفرُّ مذهبنا، ولن تظفروا منا إلا بالتعب³."

■ ثانياً: مرحلة ثورة أول نوفمبر 1954

- الشاهد الشعري لمفدي زكرياء:

¹ قنطاري، محمد، التنظيم السياسي والعسكري لثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2005، ص 55.

² الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق: ممدوح حقي، بيروت، دار البيضة العربية، ط2، 1965م، ص 42.

³ بوعزيز، يحيى، الأمير عبد القادر: رائد الكفاح الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1983م، ص 118

نَطَقَ الرَّصَاصُ فَمَا تُبَاحُ سِيَاسَةٌ ... لَمَّا تَغَطَّرَسَ بِالسِّلَاحِ لَعِينُ دَقَّتْ نُوفَمْبَرُ فِي الْقَضَاءِ مَدَافِعُ ...
فَتَزَلْزَلَتْ لِذَوِيهَا الْمَلِئُونُ وَتَلَاخَمَ الشَّعْبُ الْجَسُورُ بِجَيْشِهِ ... فَإِذَا بِفَرَنْسَا فِي الْحِمَى سَجِينُ قَالُوا: "فَرَنْسَا لَا
تُقَاهَرُ"، قُلْنَا: "خَبَوُا" ... فَالْحَقُّ يَغْلُو، وَالْقَوِيُّ مَهِينٌ¹

- الشاهد المقالى الرسمي (من بيان أول نوفمبر 1954):

"أمام هذه الحركة التطهيرية... فإننا نعلن أن هدفنا هو الاستقلال الوطني بواسطة : إقامة الدولة الجزائرية
الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية... وتدويل القضية الجزائرية،
ومواصلة الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هذا الهدف"².

- شاهد ومقولة الشهيد العربي بن مهيدي الأولى:

"ألقوا بالثورة إلى الشارع، سيحتضنها الشعب".

- شاهد ومقولة الشهيد العربي بن مهيدي الثانية:

"أعطونا طائراتكم ومدافعكم، وسنعطيكم قنابلنا وحقائبنا"³.

3. الوظيفة الاستراتيجية للمقاومة العسكرية:

للمقاومة المسلحة أدوار لا يمكن لغيرها من الأشكال تحقيقها:

¹ زكرياء، مفدي، ديوان اللهب المقدس، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، ط3، 2007م، ص 85.

² جبهة التحرير الوطني، وثيقة بيان أول نوفمبر 1954 (المنشور الرسمي الأول)، الأرشيف الوطني
الجزائري، الجزائر، ص 01.

³ التميمي، عبد الجليل، المنعطفات الحاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية، تونس، منشورات مركز الدراسات
والبحوث العثمانية والموريسكية، ط1، 1999م، ص 142.

- فرض الأمر الواقع: هي الوحيدة القادرة على تغيير الخارطة الميدانية وإجبار العدو على الجلوس إلى طاولة المفاوضات.
- تحطيم هيبة المحتل: كسر حاجز الخوف لدى الشعب وإثبات أن "ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة"، مما يقضي على نفسية الانهزام.
- الحماية المادية للمشروع الوطني: لولا القوة العسكرية لتمكن المحتل من سحق المقاومات السياسية والثقافية بسهولة؛ فالجيش هو "الدرع" الذي يحمي "هوية" الأمة.
- تدويل القضية: العمليات العسكرية الكبرى (مثل هجمات الشمال القسنطيني) هي التي لفتت أنظار الرأي العام العالمي وأدخلت القضية الجزائرية أروقة الأمم المتحدة كقضية "تصفية استعمار" وليست شأنًا داخلياً فرنسياً.

إن المتأمل في الصيرورة التاريخية للفعل النضالي يدرك يقيناً أن المقاومة لم تكن يوماً مجرد مسارات معزولة أو أفعال عفوية، بل شكلت بنية عضوية متكاملة تضافرت فيها الأدوار في استراتيجية شاملة لمواجهة مشروع الإفناء الاستعماري؛ حيث برزت علاقة تغذية متبادلة جعلت من المقاومة الثقافية والفكرية خزاناً أيديولوجياً ووجدانياً أمدّ المقاومة المسلحة بشرعيتها وعقيدتها النضالية، فاستحال الميدان العسكري صدئاً لما غُرس في العقول والقلوب.

ومن هنا، تظهر المقاومة كآلية وجودية رفضت الاندثار عبر توزيع ذكي للمهام التاريخية؛ فبينما كفلت الأشكال السياسية والثقافية الحفاظ على الذات الوطنية ومنع انقطاع الذاكرة في فترات الانكسار المادي، جاء الكفاح المسلح ليكون الأداة الحاسمة التي حولت هذا الحق المعنوي إلى واقع سيادي على الأرض.

إن هذا الخيط الناظم الذي ربط بين الكلمة والبندقية هو الذي خلق حالة من الاستعصاء التاريخي أمام المحتل، فلم يكن الاستقلال مجرد نصر عسكري فحسب، بل كان نتوياً لانتصار السردية الوطنية بكافة تجلياتها، حيث حمى الفكر الروح من المحو، وصان العسكر الأرض من الاستلاب، لتكتمل بذلك ملحمة التحرر الإنساني في أبهى صورها التاريخية.

اخيرا يمكننا القول إن تضافر هذه الأشكال (السياسية، الثقافية، الفكرية، والعسكرية) هو الذي شكل المنظومة الدفاعية' للأمة الجزائرية؛ فبينما كانت الثقافة والفكر يحميان الروح من الاندثار، كانت السياسة والعسكر يحميان الأرض من الاستلاب، لتكتمل بذلك دائرة التحرر الشامل¹

المطلب الثاني: خصائص خطاب المقاومة

إن خطاب المقاومة ليس مجرد ترف فكري أو ترجيح لغوي، بل هو خطاب "صدامي" بامتياز، استمد مشروعيته من عدالة القضية وقوة الموقف التاريخي. ولكي يؤدي هذا الخطاب دوره في التعبئة والمواجهة، كان لازماً عليه أن يتسم بخصائص ذاتية وموضوعية تميزه عن غيره من الخطابات السائدة؛ فهو خطاب ينبع من رحم المعاناة، ويتجه نحو أفق التحرر، متسلحاً بأدوات إقناعية وذاكرة جمعية صلبة. وفي هذا المطلب، سنعمل على تشريح هذا الخطاب من خلال رصد سياقاته التاريخية، ووظائفه التوجيهية، وآلياته في استحضار الذاكرة الوطنية.

أولاً: الانغراس في الواقع التاريخي والاجتماعي

إن خطاب المقاومة لم يولد في غرف مغلقة أو صالونات أدبية معزولة، بل كان "وليد المعاناة" ونتيجة مباشرة للاشتباك اليومي مع الآلة الاستعمارية. وهذا الانغراس يتجلى في مستويين متداخلين:

1. البعد السوسيولوجي (الاجتماعي)² :

لقد كان خطاب المقاومة صوتاً لكل الفئات الاجتماعية التي طالها الاستلاب؛ ففي نصوصه تجد صدى صمود الفلاح الذي استُلبت أرضه، والمتقشف الذي حارب في لغته، والمرأة التي كانت حصناً للهوية. إن هذا الخطاب يرفض "التعالي" على الواقع، بل يغوص في تفاصيل الحياة الاجتماعية الجزائرية، مستخدماً

¹ بوعزيز، يحيى مرجع سابق، ص 14.

² فانون، فرانتز، سوسيولوجيا ثورة، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2،

رموزاً محلية (كالمسجد، والزاوية، والقصبة، والريف) ليؤكد أن المقاومة هي فعل اجتماعي شامل قبل أن تكون فعلاً عسكرياً. ومن هنا، تحول الخطاب إلى "وثيقة اجتماعية" تؤرخ للفقر والمقاومة، وللتماسك الأسري في وجه محاولات التفكير الاستعماري.

2. البعد التاريخي والجغرافي (مكانية الخطاب)¹

يتميز خطاب المقاومة بما يُعرف بـ "المحلية النضالية"؛ إذ نجد الجغرافيا حاضرة بقوة في ثنايا الكلمات. فالجبل في الخطاب الجزائري ليس تضاريس طبيعية، بل هو "قلعة الحماية" ورمز العصيان؛ لذا نجد جبال الأوراس، جرجرة، والونشريس تتحول في لغة المقاومة من أسماء جغرافية إلى "دلالات أسلوبية" تعبر عن الشموخ والمنعة.

هذا الالتزام بالواقع الجغرافي جعل الخطاب يتسم بالواقعية المفرطة، حيث تستمد الصور البيانية استعاراتها من بيئة الصراع (الدخان، الصخر، الدم، شجر الزيتون)، مما خلق رابطاً مقدساً بين "الكلمة" و"الأرض"، ومنع أي محاولة للاندثار أو التغريب الثقافي.

3. صراع "الأنا" و"الآخر" كمنطلق تاريخي²

إن الانغراس في الواقع يعني بالضرورة وعي الخطاب بتمزق الهوية بين أنا وطنية تاريخية ضاربة في القدم، وبين آخر دخيل يحاول فرض واقع طارئ. لذا، اتسمت لغة الخطاب بالمواجهة؛ فهي لغة لا تهدن، بل تشخص الداء (الاستعمار) وتصف الدواء (الثورة).

¹ سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط4،

1992، ج3، ص 112.

² سعيد، إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4،

1997، ص 244.

هذا الالتزام بالواقع جعل الخطاب يتخلّى عن الزخرف اللفظي الزائد، لصالح "الوضوح النصالي" الذي يفهمه الفلاح في حقله والجندي في خندقه، محققاً بذلك أقصى درجات التأثير والتعبئة. إن انغراس خطاب المقاومة في واقعنا التاريخي والاجتماعي هو الذي منحه صفة الخلود؛ فالكلمات التي تُكتب بمداد من معاناة الأرض لا تموت بموت قائلها. لقد نجح هذا الخطاب في تحويل الجغرافيا الصامتة إلى تاريخ ناطق، فكانت كل صرخة في جبل أو مقال في صحيفة بمثابة مسمار في نعش النسيان الذي أراد المحتل أن يلف به هويتنا الوطنية.

ثانياً: الوظيفة الإقناعية والتوجيهية

إن الوظيفة الإقناعية في خطاب المقاومة ليست مجرد محاولة لاستمالة العقول، بل هي "استراتيجية تحويلية" تهدف إلى إعادة صياغة قنوات الفرد وتوجيهها نحو الفعل الجماعي. ويمكن تفكيك هذه الخصيصة عبر المستويات التالية:

1. هندسة الإقناع وفضح الزيف (قوة الحجة)¹:

اعتمد خطاب المقاومة على نظام حجاجي رصين يهدف إلى خلخلة السردية الاستعمارية؛ فالمستعمر حاول دائماً تبرير وجوده بمقولات "التمدين" و"الرسالة الحضارية". هنا، انبرى الخطاب المقاوم لاستخدام المنطق التاريخي لإثبات أن الاستعمار هو فعل "سلب ونهب" لا علاقة له بالحضارة. لقد وُظفت الأدلة العقلية لتنفيذ القوانين الجائرة (كقانون الأهالي)، مما جعل المتلقي يدرك زيف الواقع المفروض عليه، وينتقل من الحيرة إلى اليقين بعدالة قضيته.

2. اللغة التوجيهية وسلطة الأمر (نداء الثورة)²:

¹ فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (سلسلة عالم المعرفة)، ع 164، 1992، ص 204.

² عبد المطلب، محمد، بلاغة الخطاب والعمارة الأسلوبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 145.

لم يكتفِ الخطاب بالبيان، بل انتقل إلى الأمر؛ حيث نجد كثرة الأساليب الإنشائية الطلبية (كالنداء، الأمر، والنهي). إن النداء في خطاب المقاومة (يا أيها الشعب، يا حماة الديار) لم يكن مجرد تنبيه، بل كان استدعاءً للذات لتتحمل مسؤوليتها التاريخية.

أما الأمر (ثوروا، جاهدوا، ارفضوا) فقد كان بمثابة التوجيه الميداني الذي ينظم الصفوف ويحول الغضب العفوي إلى فعل ثوري منظم. هذه اللغة التوجيهية هي التي خلقت الرابطة العضوية بين القائد والقاعدة، وبين الفكر والممارسة.

3. التوازن بين العقل والعاطفة (الحرارة والتأثير)¹:

يتميز خطاب المقاومة بقدرته العجيبة على الجمع بين برودة المنطق وحرارة العاطفة. فبينما يخاطب العقل بالحجج والبراهين، يغوص في الوجدان عبر استنهاض قيم الكرامة، الشرف، والمقدسات. هذا الامتزاج هو الذي جعل الخطاب مؤثراً؛ لأن الإقناع العقلي يولد القناعة، لكن الشحنة العاطفية هي التي تولد "الاندفاع نحو التضحية". إنها اللغة التي تبكي العيون وتشد الأيدي على السلاح في آن واحد.

إن الخطاب المقاوم، عبر وظيفتيه الإقناعية والتوجيهية، قد نجح في كسر حالة الشلل التي أراد الاستعمار فرضها على الوجدان الشعبي.

لقد تحول النص إلى طاقة حركية عابرة للحدود والطبقات؛ فبينما كانت الحجج المنطقية تهدم أساطير المحتل، كانت اللغة التوجيهية تبني قلاع الثورة في النفوس. وبذلك، لم يعد الخطاب مجرد وصف للواقع، بل أصبح خالفاً للواقع الجديد، محولاً الإنسان من مفعول به في سجلات الاستعمار إلى فاعل حقيقي في كتابة تاريخ الاستقلال

¹ المسدي، عبد السلام، اللسانيات وتحليل الخطاب، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 112.

ثالثاً: حضور الأدلة والروابط المنطقية

إن الخطاب المقاوم، لكي يتجاوز كونه صرخة رفض عابرة، كان عليه أن يتسلح بآليات "البرهنة والاحتجاج"، ليتحول إلى وثيقة قانونية وتاريخية قادرة على مواجهة سردية المحتل بأسلحة المنطق ذاتها. ويتجلى هذا الحضور في الأبعاد التالية:

1. المرجعية التاريخية (برهان الاستمرارية)¹:

اعتمد الخطاب المقاوم بشكل جوهري على استدعاء "السوابق التاريخية" لتعزيز ثقة الفرد في قدرته على النصر. فذكر البطولات السابقة (مثل مقاومة يوغرطة، الفتوحات الإسلامية، أو ثورات القرن التاسع عشر) لم يكن سرداً للماضي، بل كان "دليلاً منطقياً" على أن الشعوب الأصيلة لا تقبل الاستلاب، وأن الحالة الاستعمارية هي "عارض تاريخي" زائل وليست قدراً حتمياً. هذه الروابط التاريخية منحت الخطاب عمقاً زمنياً يمتد لآلاف السنين، مما أفشل محاولات الاستعمار لفرض "بتر تاريخي" للهوية.

2. المرجعية الدينية والقيمية (برهان الحق)²:

كان للاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا القيم الروحية العليا، دور "الرابط المنطقي" الذي يربط بين عدالة القضية الأرضية والعدل الإلهي المطلق. إن توظيف مفاهيم (الجهاد، الحق، الشهادة، نصر المظلوم) جعل من خطاب المقاومة خطاباً "أخلاقياً" بامتياز؛ فالأدلة الدينية هنا عملت كبراهين قطعية لا تقبل التأويل، مما منحه رزانة ومصداقية وجدانية وعقلية جعلت الفرد يوقن بأن تضحيته هي جزء من ميزان العدل الكوني.

¹ لبوعزيز، يحيى، مرجع سابق، ص 14.

² ناصر، محمد، مرجع سابق، ص 156.

3. المرجعية القانونية (برهان الشرعية الدولية)¹ :

في مراحل متقدمة، خاصة مع نضج الحركة الوطنية واندلاع ثورة نوفمبر، بدأ الخطاب المقاوم يوظف "الأدلة القانونية" المستمدة من المواثيق الدولية (مثل حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومبادئ حقوق الإنسان). هذا التوجه حوّل الخطاب إلى خطاب "حقوقي" رصين يخاطب العالم بلغة القانون، ويفضح تناقض المحتل الذي يدعي الديمقراطية بينما يمارس أبشع أنواع الاستبداد. إن هذه الروابط المنطقية هي التي منحت القضية الجزائرية صبغتها العالمية كقضية "تصفية استعمار" شرعية.

إن حضور الأدلة والروابط المنطقية في خطاب المقاومة قد نقله من دائرة 'الانفعال' إلى دائرة 'الاستدلال'؛ وبذلك نجح الخطاب في بناء معمار أسلوب رصين لا يكتفي بالمطالبة بالحرية، بل 'يبرهن' على حتميتها. إن هذا التماسك المنطقي بين التاريخ والدين والقانون جعل من الخطاب وثيقة عصية على الاندثار، لأنه لم يخاطب الوجدان فحسب، بل خاطب العقل الإنساني في أسمى تجلياته، محوّل الحق الوطني إلى قضية أخلاقية ومنطقية لا يمكن للعالم تجاهلها.

رابعاً: الرؤية الذاكراتية (استحضار الأمجاد والرموز)

إن الرؤية الذاكراتية في خطاب المقاومة ليست مجرد استرجاع عاطفي لما مضى، بل هي استراتيجية بقاء واعية، تهدف إلى إبطال مفعول النسيان الذي حاول المستعمر فرضه كسياسة ممنهجة لطمس الشخصية الوطنية. ويمكننا تحليل هذه الخصيصة عبر الأبعاد التالية:

¹ خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي العربي،

1. الخطاب كجسر أنطولوجي (بين كينونة الماضي وصيرورة الحاضر) ¹:

يعمل خطاب المقاومة كحلقة وصل زمنية ترفض "القطيعة" التي حاول الاستعمار إحداثها. فمن خلال استحضار الرموز الكبرى (مثل طارق بن زياد كرمز للفتح والعزة، أو الأمير عبد القادر كرمز للدولة والمقاومة الحديثة)، يقوم الخطاب بعملية "تحيين للتاريخ"؛ أي جعل الماضي حاضراً وفاعلاً في النفوس. إن استدعاء هذه الرموز يمنح المناضل شعوراً بأنه ليس "نبته شيطانية" بلا أصل، بل هو وريث شرعي لسلسلة طويلة من الأمجاد، مما يجعل فعل المقاومة واجباً أخلاقياً وتاريخياً لاستكمال مسيرة الأجداد.

2. الرمز التاريخي كأداة تعبوية (صناعة القدوة) ²:

إن تحويل الشخصيات التاريخية إلى "رموز" داخل الخطاب يهدف إلى زرع الثقة وتحطيم عقدة الدونية أمام المحتل. فعندما يستحضر الخطاب "الأحداث المفصلية" (مثل معارك الفتح أو المقاومات الشعبية)، فإنه يقدم براهين حية على أن انكسار الأمة هو حالة "استثنائية" و"مؤقتة"، بينما سيادتها هي "الأصل" و"الدائم".

هذه الرؤية تحول الذاكرة من مجرد "أرشيف صامت" إلى "قوة محرّكة" تمنح الأجيال القدرة على تخيل مستقبل خالٍ من الاستعمار، بناءً على ماضي كان فيه الأجداد أسياداً.

3. مواجهة "الاندثار" بالتدوين الأسلوبي ³ :

لقد أدرك المقاومون أن المعركة مع المستعمر هي في جوهرها معركة على "من يكتب التاريخ ومن يرويهِ". لذا، جاء خطاب المقاومة ليكون "سداً منيعاً" ضد الاندثار الثقافي؛ حيث حُفظت الأمجاز في القصائد، والمقالات، والخطب السياسية.

¹ ريكور، بول، *الذاكرة، التاريخ، النسيان*، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زينات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م، ص 139.

² كوثراني، وجيه، *الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين: استيقاظ الذاكرات وإشكالية كتابة التاريخ*، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2012م، ص 78.

³ سعيد، إدوارد، *الثقافة والإمبريالية*، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب، ط2، 1998م، ص 45.

إن هذا "التثبيت الأسلوبي" للذاكرة جعلها عصية على المحو؛ فالمستعمر قد يحرق الكتب أو يهدم المعالم، لكنه لا يستطيع انتزاع الرموز التي استوطنت "اللغة" وصارت جزءاً من البناء الأسلوبي لخطاب الأمة.

إن الرؤية الذاكراتية في خطاب المقاومة هي الرد الأسلوبي الحاسم على 'سياسة التجهيل' و'محو الأثر' الاستعمارية. لقد استطاع هذا الخطاب أن يحول التاريخ من 'عبء' أو 'رثاء' إلى 'سلاح'؛ فاستحضار الرموز لم يكن انغلاقاً على الماضي، بل كان 'استمداداً للقوة' لصياغة المستقبل.

وبذلك، فإن الذاكرة في مذكرتنا هذه ليست مجرد استنكار، بل هي 'فعل مقاومة' بحد ذاته، حيث منعت الاندثار الروحي للأمة، وضمنت أن تظل جذور الهوية ضاربة في أعماق الأرض مهما اشتدت رياح الاستلاب.

نستخلص مما سبق أن خصائص خطاب المقاومة ليست مجرد سمات لسانية عارضة، بل هي هوية بنيوية صاغت ضرورة المواجهة الوجودية ضد الاستعمار. لقد أثبت التحليل أن هذا الخطاب استمد قوته من انغراسه العميق في الواقع التاريخي والاجتماعي، فلم يكن لغةً تجريدية، بل كان صدىً للأرض والإنسان، وهو ما منحه تلك الوظيفة الإقناعية والتوجيهية القادرة على بعث الحياة في الإرادة الشعبية وتحويلها إلى فعل ثوري منظم.

وعليه، فإن اعتماد الخطاب على الأدلة والروابط المنطقية (التاريخية، الدينية، والقانونية) لم يكن إلا وسيلة لترسيخ شرعية المقاومة وجعلها حقيقة عقلانية وحقوقية لا تقبل الجدل.

وتتوج هذه الخصائص بـ الرؤية الذاكراتية التي جعلت من الخطاب جسراً عابراً للزمن، يستحضر الأمجاد والرموز لا لتمجيد الماضي فحسب، بل لتحسين الحاضر من ذوبان الهوية.

إن هذه الخصائص مجتمعة هي التي شكلت الدرع الأسلوبي الذي حال دون النسيان والاندثار؛ حيث تحول الخطاب من مجرد وسيلة للتواصل إلى ذاكرة مكتوبة عصية على المحو، تضمن استمرارية الكيان الوطني في وجه محاولات الطمس الاستعماري، وتؤسس لمنظومة فكرية ولغوية كانت هي حجر الزاوية في تحقيق الاستقلال وصياغة معالم الشخصية الوطنية الجزائرية.

نخلص من مجمل هذا المبحث إلى أن ظاهرة المقاومة في التاريخ الوطني لم تكن مجرد ردود فعل عفوية أو مواجهات ميدانية عابرة، بل كانت منظومة نضالية متكاملة تداخلت فيها الأبعاد العسكرية، والسياسية، والثقافية، والفكرية لصياغة مشروع تحرري شامل.

لقد أثبتت الدراسة أن المقاومة في جوهرها هي فعل استمرارية حضاري، اتخذ من الخطاب وعاءً له وسلاحاً موازياً لسلاح الميدان؛ فبينما كانت المقاومة المسلحة والسياسية تسعى لاستعادة السيادة المادية، كانت المقاومة الثقافية والفكرية تشكل خندق الدفاع الأخير الذي حطم أوهام الاندثار والنسيان الاستعماري¹. إن الخصائص الذاتية والموضوعية التي ميزت خطاب المقاومة من انغراسه في الواقع الاجتماعي إلى وظائفه الإقناعية والذاكراتية قد حولته من مجرد نص لغوي إلى وثيقة تاريخية حية وقوة محرّكة للجماهير. لقد استطاع هذا الخطاب، عبر احتكامه للأدلة المنطقية واستنهاضه للأمجاد والرموز التاريخية، أن يبني جسراً متيناً بين ماضي الأمة المجيد وحاضرها الثائر، محققاً بذلك الغاية الأسمى وهي: الحفاظ على كينونة الأمة ومنع ذوبان شخصيتها في قوالب الآخر المستعمر.

وعليه، فإن هذا المبحث قد أرسى القاعدة التاريخية والمفاهيمية الضرورية لفهم أن صمود الأمة الجزائرية لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتيجة خطاب واعي ومنظم هزم محاولات الاندثار بالتمسك بالذاكرة، وواجه النسيان بخلود الكلمة المقاومة.

وهذا التأسيس هو ما يفتح لنا الآفاق في المبحث الموالي لتفكيك هذا الخطاب أسلوبياً، ورصد آليات اشتغاله اللغوي التي جعلت منه خطاباً عابراً للزمن.

المبحث الثاني: الأسلوبية وادواتها التحليلية

إذا كان المبحث الأول قد رسم لنا خارطة الفعل المقاوم وسياقاته التاريخية، فإن المبحث الثاني يأتي ليضبط الأداة المنهجية الكفيلة باستنتاج النصوص وتحليل شيفراتها اللغوية.

إن الأسلوبية، بوصفها وريثة البلاغة القديمة وابنة اللسانيات الحديثة، تمنحنا القدرة على تجاوز القراءة السطحية للنص إلى قراءة "العدول" والسمات الجمالية التي منحت خطاب المقاومة طاقته التأثيرية. وفي هذا المبحث، سنعمل على تأصيل مفهوم الأسلوب والأسلوبية، ثم نعرض مستويات التحليل الأسلوبي، لنصل في الختام إلى ضبط العلاقة بين الخطاب وتحليله في ضوء السياقات التاريخية.

¹ أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. وأيضاً: د. محمد

ناصر، "المقاومة بالكلمة"، دار الغرب الإسلامي، ص 15-20. بتصرف

المطلب الاول: مفهوم الأسلوب والاسلوبية

اولا: المفهوم التاريخي للأسلوب (من الذاتية إلى النظم)¹:

لقد قطع مفهوم "الأسلوب" رحلة تاريخية طويلة بدأت من كونه مجرد "أداة للكتابة" لتتحول إلى "مرآة للروح". في التراث الغربي، سادت مقولة بوفون (الشهيرة): "الأسلوب هو الرجل نفسه"، والتي أرّخت للمرحلة التي كان يُنظر فيها للأسلوب كبصمة فردية لا تتكرر، تعكس مزاج الكاتب وشخصيته.

أما في الفكر العربي القديم، فقد ارتقى عبد القاهر الجرجاني بالمفهوم إلى مستويات عقلانية محضة عبر نظرية النظم. الأسلوب عند الجرجاني ليس مجرد رصف للكلمات، بل هو تعليق الكلم بعضها ببعض وفق مقتضيات النحو والمعنى؛ فالمزية ليست في الكلمة المفردة، بل في النظم الذي يحول الجملة من مجرد إخبار جاف إلى طاقة تعبيرية قادرة على التأثير والبيان.

الربط بين "الأسلوب" و"النظم" هو الذي مهد الطريق لاحقاً لفهم كيف يمكن لخطاب المقاومة أن يبنى "شرعيته" من خلال دقة الصياغة وقوة الترابط.

ثانيا: نشأة الأسلوبية وتطورها (من المعيارية إلى الوصفية)²:

تمثل الأسلوبية الوريث العلمي للبلاغة القديمة، لكنها تختلف عنها في كونها علماً "وصفياً" لا "معياريّاً". فبينما كانت البلاغة القديمة تضع "قواعد" يجب على الكاتب اتباعها (المعيارية)، جاءت الأسلوبية مع شارل بالي (تلميذ دي سوسير) لتدرس اللغة في حالة اشتغالها الفعلي.

¹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق وتحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة

المدني - جدة، دار المدني، ط3، 1992م، ص 43.

² المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، تونس - طرابلس، الدار العربية للكتاب، ط3،

1982م، ص 54.

❖ الانعطاف نحو "بالي":

يرى بالي أن الأسلوبية تدرس "القيم التأثيرية" للغة؛ أي تلك الشحنات العاطفية التي تتجاوز الوظيفة الإخبارية للغة. بالنسبة لباحث في خطاب المقاومة، هذا التطور حيوي جداً؛ لأن الأسلوبية هنا هي التي تفسر لنا كيف تتحول اللغة من أداة تواصل باردة إلى "لغة اشتباك".

❖ العدول والانزياح :

طور النقاد (مثل ليو سبتزر وجان كوهن) مفهوم "العدول"، وهو خروج الخطاب عن اللغة المألوفة. وفي خطاب المقاومة، يمثل العدول "خرقاً" لصمت الهزيمة؛ فاستخدام الاستعارات القوية والتقديم والتأخير في الجمل ليس ترفاً، بل هو انزياح أسلوبى يهدف إلى زعزعة يقين المحتل وتثبيت يقين المقاوم.

ثالثاً: الأسلوبية الحديثة: النشأة، المرتكزات، والتحويلات¹

إن الأسلوبية الحديثة هي الابنة الشرعية لـ اللسانيات؛ فقد ولدت من رحم التمرد على البلاغة القديمة التي كانت تكتفي بتصنيف الصور البيانية (تشبيه، استعارة) دون غوص في جوهر "التجربة اللغوية".

1. الجذور والنشأة (المنعطف اللساني):

تعتبر سنة 1909 تاريخاً فاصلاً في الأسلوبية الحديثة مع صدور كتاب "أسلوبية اللغة الفرنسية" لـ شارل بالي (Charles Bally). فقد نقل بالي الأسلوبية من "جمالية النص" إلى "نفسية اللغة"؛ حيث رأى أن الأسلوبية تدرس الجانب العاطفي والتأثيري في اللغة، أي كيف نعبر عن مشاعرنا واحتياجاتنا بطريقة تتجاوز الوظيفة الإخبارية الجافة.

2. الاتجاهات الكبرى في الأسلوبية الحديثة:

لم تكن الأسلوبية الحديثة تياراً واحداً، بل تشعبت إلى عدة مدارس، أهمها:

¹ فضل، صلاح، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998م، ص 72.

- الأسلوبية الوصفية (بالي): تركز على دراسة الوسائل التعبيرية في اللغة المشتركة (لغة الجماعة) وليس الأدب فقط.
- أسلوبية الفرد أو "النفسية" (ليو سبتزر): ترى أن الأسلوب هو انعكاس لنفسية الكاتب، وأن هناك "مركزاً نفسياً" لكل نص يفسره التحليل الأسلوبي.
- أسلوبية الانزياح أو العدول (جان كوهن): تعتبر أن الأسلوب هو "خروج" عن المعيار المؤلف للغة. فكلما انزاح الشاعر أو الكاتب عن اللغة العادية، تولدت "الشعرية" و"الأدبية".
- الأسلوبية البنيوية (مايكل ريفاتير): تركز على المتلقي، وترى أن الأسلوب هو ما يفرضه النص على القارئ من انتباه عبر وسائل لغوية مباغته.

3. مرتكزات الأسلوبية الحديثة (أدوات العمل)¹:

تعتمد الأسلوبية الحديثة في تحليلها لنصوص مثل خطاب المقاومة على مفاهيم مفصلية:

- الاختيار: الأسلوب هو نتيجة "عملية انتخابية" يقوم بها المقاوم من بين بدائل لغوية متعددة. اختيار كلمة "استشهاد" بدلاً من "موت" هو اختيار أسلوبي بامتياز يحمل أيديولوجيا كاملة.
- التكرار: ليس مجرد حشو، بل هو وسيلة للتأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن الجمهور (التعبئة الجماهيرية).
- السياق: الأسلوبية الحديثة لا تدرس النص في فراغ، بل تربط البنية اللغوية بسياقها التاريخي والاجتماعي،

إن الأسلوبية الحديثة، بتركيزها على القيم التأثيرية والانزياح اللغوي، تمثل الأداة الأنسب لتشريح خطاب المقاومة؛ فالمقاوم لا يكتب لغوياً ليعبر فقط، بل لـ يغير. الأسلوبية الحديثة تتيح لنا فهم كيف تحولت اللغة من وعاء للكلمات إلى فعل مقاوم يتسم بوعي حاد بجماليات الرفض، محولاً النص من حالة السكون إلى طاقة ثورية تتصدى لمحاولات الاندثار.

¹ الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، تونس، منشورات الجامعة التونسية، ط1، 1981م، ص 145.

المطلب الثاني: مستويات التحليل الاسلوبي

إن تحليل خطاب المقاومة يتطلب الغوص في طبقات اللغة عبر مستويات متداخلة، لا ينفصل أحدها عن الآخر:

اولا: المستوى الدلالي¹:

هو المستوى الذي يهتم بدراسة المعنى في النص، وكيفية تشكل الحقول المعجمية التي تخدم قضية المقاومة.

في هذا المستوى، نقوم برصد الحقول الدلالية المسيطرة. ففي خطاب المقاومة، نجد صراعاً بين حقلين: (حقل الحرية، الأرض، الشهادة، الانبعاث) في مواجهة (حقل الموت، السجن، المستعمر، النسيان). هذا التضاد الدلالي هو الذي يمنح النص هويته النضالية، حيث تعمل الكلمات كإشارات مرجعية تثبت الذات الوطنية وتمنعها من الاندثار.

ثانيا: المستوى الإيحائي²:

هو أرقى مستويات التحليل الأسلوبي، حيث لا نكتفي بالمعنى المعجمي للكلمة، بل نبحث عن ضلال المعنى وما تثيره الكلمة من شحنات شعورية وتاريخية.

الكلمة في خطاب المقاومة هي كلمة مشحونة. فعندما يذكر المقاوم كلمة الأوراس أو الزيتون أو الليل، فإن الإيحاء يتجاوز الدلالة الجغرافية أو النباتية؛ فالأوراس إيحاء بالشموخ والعصيان، والزيتون إيحاء بالسلام المتجذر في الأرض، والليل إيحاء بالاستعمار الذي يتبعه فجر الاستقلال. هذا المستوى هو الذي يربط النص بـ "الذاكرة الجماعية"، ويجعل للغة سلطة روحية تقاوم المحو.

ثالثا: المستوى التركيبي³:

يهتم ببناء الجملة والعلاقات النحوية بين الكلمات، وكيف يخدم هذا النظام القصدي في الخطاب.

¹ فايز، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996م، ص 88

² عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1995م، ص 104.

³ فضل، صلاح، مرجع سابق، ص 65.

نركز هنا على التقديم والتأخير، والأساليب الإنشائية (الأمر، النداء، الاستفهام). فكثر أفعال الأمر في خطاب المقاومة (ثوروا، قاوموا) تخدم الوظيفة التوجيهية، بينما تقديم الوطن في الجملة يعكس أولويته في وعي المقاوم. التركيب هو الهيكل العظمي الذي يحمل جسد المقاومة.

رابعاً: المستوى البلاغي¹:

يركز على الصورة البيانية (الاستعارة، الكناية، المجاز) وقدرتها على تحويل المعاني المجردة إلى صور حية.

تتحول الاستعارة في خطاب المقاومة من وسيلة تجميلية إلى وسيلة معرفية. تصوير الاستقلال بالفجر أو العرس، وتصوير الاستعمار بالقيد أو الغراب، هي صور تهدف إلى تبسيط الحقائق وتعميق أثرها الوجداني، مما يسهل استقرارها في الذاكرة الشعبية ضد الاندثار.

إن تداخل هذه المستويات في خطاب المقاومة هو الذي يمنح النص 'مناعة أسلوبية'. فالمستوى الدلالي يبني جسد المعنى، والمستوى الإيحائي يمنحه الروح والارتباط بالذاكرة، بينما يحمي المستوى التركيبي والبلاغي هذا المعنى من التآكل.

إن دراسة هذه المستويات مجتمعة تظهر لنا كيف استطاع المقاوم الجزائري أن يبتكر لغة خاصة، هي في جوهرها لغة بقاء؛ لغة لا تكتفي بوصف الواقع، بل تعيد اختراعه لتمنع اندثار الهوية وتضمن خلود القضية في أذهان الأجيال.

المطلب الثالث: الخطاب وتحليل الخطاب

أولاً: ماهية الخطاب وعلاقته بالسياق (الزمان والمكان والإنسان)²:

¹ المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، تونس - طرابلس، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982م،

ص 112.

² عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص 84.

الخطاب في الدراسات الحديثة ليس مجرد نص مغلق، بل هو فعل لغوي يكتسب معناه من السياق المحيط به. بالنسبة لخطاب المقاومة، لا يمكن فصل الكلمة عن اللحظة التاريخية؛ فالسياق هنا هو الاستعمار، والمعاناة، والرغبة في الانعتاق.

إن السياق هو الذي يحول الجملة العادية إلى أمر ثوري؛ فعندما يخطب المقاوم في جماهير الثورة، فإن السياق (المكان: الجبل/المسجد، الزمان: وقت الضيق/المواجهة) يمنح الكلمات طاقة انفعالية مضاعفة. تحليل الخطاب هنا لا يكتفي بما قيل، بل يبحث في "لماذا قيل؟ ولمن قيل؟ وفي أي ظرف؟"، وهذا الربط هو الذي يمنع اندثار المعنى ويحافظ على فاعلية الخطاب عبر العصور.

ثانياً: آليات التأثير والإقناع (استراتيجيات المحاججة)¹:

الهدف الجوهرى لخطاب المقاومة هو الإقناع بعدالة القضية و"التأثير" في المتلقي لدفعه نحو الفعل. وتعتمد هذه العملية على آليات تداولية دقيقة:

- الآلية الحجاجية: استخدام البراهين العقلية والنقلية لفضح زيف خطاب المحتل. إنها معركة "إبطال الحجة بالحجة"، حيث يتم تفكيك مقولات الاستعمار وبناء مشروعية الثورة.
- الآلية العاطفية (الباثوس): استدراج العواطف الوطنية والدينية، وتوظيف قيم الشرف والكرامة. هذه الآلية هي التي تضمن استجابة الجماهير للنداء النضالي، حيث تلامس الكلمات شغاف القلوب قبل العقول.
- الآلية السلطوية (الإيثوس): وتتعلق بشخصية "المتكلم"؛ فخطاب القائد أو العالم أو المجاهد يمتلك قوة إقناعية نابعة من ثقة الشعب في صدق تضحياته، مما يجعل كلامه "ميثاقاً" غليظاً لا يقبل التشكيك.

¹ شارودو، باتريك، تحليل الخطاب السياسي، ترجمة: عبد القادر فهم شيباني، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م، ص 93.

ثالثاً: الخطاب كأداة لمواجهة النسيان¹ :

إن الوظيفة الكبرى لتحليل الخطاب هي إثبات أن الكلمة المقاومة هي التي أرّخت للحدث الحقيقي في مواجهة التاريخ المزيف الذي أراد المستعمر كتابته.

تحليل الخطاب يكشف كيف استطاعت اللغة أن تكون خزان الذاكرة، وكيف نجحت آليات الإقناع في جعل الفرد الجزائري يؤمن بأنه سيد في أرضه رغم واقع العبودية المفروض عليه، وهذا هو قمة الانتصار على الاندثار.

إن العلاقة الجدلية بين الخطاب وسياقه التاريخي في دراستنا هذه، تؤكد أن الكلمة المقاومة لم تكن ترفاً قولياً، بل كانت ضرورة وجودية. إن آليات التأثير والإقناع التي وظفها المقاومون حولت اللغة من وسيلة للوصف إلى أداة للتحرير؛ حيث نجحت في ربط الفرد بذاكرته الجماعية، وتحصينه ضد سموم النسيان الاستعماري.

وبذلك، فإن تحليل الخطاب هو الذي يمنحنا المفتاح لفهم كيف هزمت الكلمة المدافع، وكيف استعاد الإنسان الجزائري سيادته الرمزية قبل أن يفتك سيادته الترابية.

في ختام هذا الفصل، نكون قد أرسينا القواعد المعرفية والمنهجية الضرورية لفهم ظاهرة المقاومة في تجلياتها التاريخية واللغوية؛ حيث تبين لنا أن المقاومة الجزائرية لم تكن مجرد مواجهة مادية بالسلاح، بل كانت استراتيجية بقاء شاملة تضافرت فيها القوة العسكرية مع الفعل السياسي والثقافي والفكري لصناعة جدار صد منيع ضد محاولات المسخ والاستلاب الاستعماري. لقد أثبتت القراءة التاريخية أن الخطاب كان هو الروح التي سرت في جسد الفعل المقاوم، والملاذ الذي التجأت إليه الهوية الوطنية لتحمي نفسها من النسيان والاندثار.

وعلى الصعيد المنهجي، مكنتنا الأسلوبية الحديثة بمستوياتها التحليلية (الدلالية، والتركيبية، والإيحائية، والبلاغية) من امتلاك الأدوات الكفيلة بتفكيك هذه النصوص، ليس بوصفها قوالب لغوية جامدة، بل بوصفها

¹ شومان، محمد، تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، القاهرة، الدار المصرية

اللبنانية، ط1، 2007م، ص 115.

خطابات حية مشحونة بالطاقة التأثيرية والقدرة الإقناعية. لقد اتضح أن العلاقة بين الخطاب وسياقه التاريخي هي علاقة جدلية بامتياز؛ فالسياق النضالي هو الذي منح اللغة شرعيتها، واللغة هي التي حفظت ذلك السياق من الضياع، محولةً الذاكرة من زمن ماضٍ إلى واقع متجدد في وعي الأجيال.

إن ما وصلنا إليه من نتائج في هذا الفصل يفتح لنا الباب واسعاً للانتقال من التأصيل النظري إلى التحليل الإجرائي؛ حيث سنعمل في الفصول القادمة على إسقاط هذه المفاهيم والآليات الأسلوبية على نماذج مختارة من نصوص المقاومة، لنرصد ميدانياً كيف استطاعت الكلمة المقاومة أن تنتصر على محاولات المحو، وكيف نجحت الأسلوبية في الكشف عن تلك الجماليات التي جعلت من لغة الثورة حصناً للذاكرة الوطنية الجزائرية ضد كل أشكال الاندثار.

الفصل الثاني:

آليات التحفيز في خطاب المقاومة، المستوى المضموني وطرائق التأثير

- المبحث الأول: الاستراتيجيات الحجاجية والقوة التأثيرية
في خطاب المقاومة
- المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة

الفصل الثاني: آليات التحفيز في خطاب المقاومة، المستوى

المضموني وطرائق التأثير

يعد خطاب المقاومة ظاهرة اتصالية ولغوية فريدة، لا تكتفي بنقل الوقائع أو وصف الأحداث، بل تسعى بالدرجة الأولى إلى صناعة واقع جديد عبر استنهاض الهمم وإعادة تشكيل الوعي الجمعي. فإذا كان الفصل الأول قد تتبع الجذور التاريخية والأدوات الأسلوبية، فإن هذا الفصل ينعطف نحو "المحرك الداخلي" للخطاب، مستكشفاً آليات التحفيز التي تجعل من الكلمة طاقة دافعة نحو التغيير والمواجهة.

إن خطاب المقاومة، كما تشير الأدبيات الحديثة في تحليل الخطاب السياسي، هو خطاب "تغييري" بامتياز؛ إذ يعتمد في مستواه المضموني على استراتيجيات دقيقة تهدف إلى زعزعة سرديّة المحتل من جهة، وترسيخ سرديّة الصمود من جهة أخرى. وتبرز هنا "الآليات الحجاجية" كعمود فقري لهذا الخطاب، فهي لا تهدف فقط إلى البرهنة العقلية، بل تسعى إلى "الإقناع" الذي يولد "الاتباع". فالمقاوم حين يخطب، فإنه يبني "عالمًا من الحجج" يستمد شرعيته من المظلومية التاريخية، والحق الأخلاقي، واليقين بالانتصار، مستخدماً في ذلك تقنيات بلاغية تتجاوز الزخرف اللفظي إلى التأثير المباشر في المتلقي¹.

وعليه، فإن دراسة طرائق التأثير في هذا الفصل تنطلق من الإيمان بأن العلم أداة للتحرر؛ حيث سنعمل على تشريح "الآليات التأثيرية" التي تبرز بين "قوة البرهان" و"حرارة الوجدان". إن خطاب المقاومة هو "بلاغة الجماهير" التي تحول الفرد من حالة السكون والانتظار إلى حالة الفعل والمبادرة، وذلك عبر استخدام مهارات إقناعية تعيد تعريف الذات الوطنية في مواجهة الآخر المستعمر. وسيركز هذا الفصل بشكل خاص على كيفية توظيف "الرموز" و"الصور الذهنية" و"الروابط المنطقية" لتكون وسيلة لحماية الذاكرة من الاندثار، وضمان استمرارية الروح الثورية عبر الأجيال.

إن هذا الفصل يبنّي على رؤية تكاملية تنقسم إلى مسارين متداخلين؛ يتناول المبحث الأول "الآليات الحجاجية والتأثيرية"، وهو المسار الذي يركز على "عقلانية الخطاب" وقدرته على المحاججة وإفحام الخصم.

¹ عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة، (كتاب)، مصر/لبنان، دار

التنوير للنشر والتوزيع، 2012، ص ص 102-115.

فخطاب المقاومة ليس صرخة عاطفية فحسب، بل هو بناء منطقي متماسك يستخدم الأدلة والبراهين (اللوغوس) لتقويض رواية المحتل وترسيخ مشروعية الحق الوطني، مستفيداً من تقنيات الحجاج التي تجعل من القضية العادلة حقيقة لا تقبل الجدل في ذهن المتلقي¹.

أما المبحث الثاني، فيغوص في "المستوى المضموني وطرائق التأثير"، حيث يتم فحص "محتوى" الرسالة المقاومة وكيفية تحويلها إلى طاقة "باتوس" (عاطفية) و"إيثوس" (مصادقية أخلاقية). هنا يتم التركيز على كيفية صناعة الرمز، واستنهاض القيم الروحية والوطنية، وتوظيف اللغة التحفيزية التي تكسر حاجز الخوف وتزرع اليقين بالنصر. إن التركيز في هذا المبحث ينصب على "كيفية التأثير" في الوجدان الجمعي، ومنع اندثار الروح القتالية عبر استراتيجيات خطابية ذكية توازن بين التحذير من مخاطر الاندثار وبين التبشير بآفاق التحرر.

المبحث الأول: الاستراتيجيات الحجاجية والقوة التأثيرية في خطاب المقاومة

يعد المبحث الأول من هذا الفصل فضاءً لتحليل الآليات اللغوية والتداولية التي يتوسل بها خطاب المقاومة لتحويل الكلمة من مجرد أداة تواصلية إلى قوة فاعلة في الميدان. إن هذا المبحث يسعى لتفكيك "الشفرة الإقناعية" التي يعتمد عليها المقاوم في مخاطبة الجماهير، وهي شفرة تتجاوز منطق الإخبار لتصل إلى منطق "التحفيز" و"الاستنهاض".

تبدأ رحلة التحليل في هذا المبحث من خلال المطلب الأول (النداء والتحريض)، حيث يبرز النداء كأداة تداولية لا تستهدف لفت الانتباه فحسب، بل تستهدف "استدعاء الذات" وتحميلها مسؤوليتها التاريخية، وهو ما يمهد لعملية التحريض الإيجابي التي تحول المتلقي من حالة السكون إلى حالة الفعل الثوري. هذا الفعل القولي لا يكتمل إلا بـ المطلب الثاني (بناء الأنا والآخر)، إذ يقوم الخطاب المقاوم برسم حدود فاصلة

¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، (كتاب)، تونس، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982، ص

بين "أنا" جماعية تمثل الحق والشرعية، و"آخر" يمثل الباطل والعدوان؛ وهي ثنائية ضرورية لخلق التمايز النفسي والسياسي المطلوب في سياقات الصراع¹.

ولتشبث هذه الرؤية، ينتقل المبحث في المطلب الثالث (الحجج العقلية والعاطفية) نحو دراسة "المحاجة"؛ حيث يمزج الخطاب بين "اللوغوس" (البرهان العقلي) الذي يفضح زيف المحتل، وبين "الباثوس" (الشحنة العاطفية) التي تلهب الوجدان، مما يخلق توازناً إقناعياً يضمن استجابة العقل والقلب معاً. وتتوج هذه العمليات جميعها في المطلب الرابع (صناعة الهوية الجماعية)، حيث يتحول الخطاب إلى "بوتقة" لصهر الانتماءات الفردية في هوية وطنية جامعة، تعيد إنتاج الذات في قالب المقاومة، مما يحمي الذاكرة من التآكل ويجعل من الهوية حصناً منيعاً ضد الاندثار².

إننا نسعى من خلال هذه المطالب الأربعة إلى كشف كيفية اشتغال بلاغة المقاومة كـ "سلطة مضادة"، قادرة على إنتاج المعنى وترسيخ اليقين في أحلك الظروف التاريخية.

المطلب الأول: النداء والتحريض

يمثل النداء في خطاب المقاومة أولى عتبات "الاشتباك اللغوي"، فهو ليس مجرد وسيلة تواصلية لطلب الإقبال، بل هو "استدعاء وجودي" وصرخة كيانية تسعى لانتشال المتلقي من غيابة الصمت الرتيب ومقابر النسيان إلى فضاء الفعل المتوقد والشهود التاريخي. إن النداء في هذا السياق يتجاوز محبسه النحوي الضيق ليصبح أداة تداولية تشحن النص بطاقة "الاستنهاض" التي لا تهفت.

سيميائية النداء: استدعاء الهوية واستنفار الوعي

حين يشرع المقاوم خطابه بـ "يا أيها الأحرار" أو "يا حماة الديار"، فإنه لا ينطق بحروف جوفاء، بل يمارس عملية "اصطفاء هويتي" وتطهير للذات؛ فالنداء هنا يعمل كمنخل دقيق يصفّي الجماهير ويضع كل فرد أمام مرآة مسؤوليته الأخلاقية والتاريخية. إن اختيار "حرف النداء" والمنادى في أدب المقاومة يتسم

¹ عماد عبد اللطيف، مرجع سابق ص 120-135.

² صلاح فضل، مرجع سابق، ص 160.

بوعي حاد بجماليات التلقي وسيكولوجية الجماهير؛ حيث يتحول المنادى من مجرد اسم نكرة أو معرفة إلى "رمز" باذخ محملٍ بقيم الكرامة، والحرية، والصمود.

هذا التوظيف لأسلوب النداء يهدف إلى تهشيم الرتابة الذهنية التي يحاول المستعمر فرضها، وتحويل المتلقي من "مفعول به" في سجلات القهر والاندثار إلى "فاعل" مركزي يبدأ حضوره الحقيقي بلحظة الاستجابة لتلك الصرخة. إن النداء هنا هو "بعث" للذات من سباتها، وتذكير لها بأنها ليست مجرد رقم في حشد، بل هي ركيزة في بناء الوطن¹.

التحريض: من لغة الإقناع إلى لغة الاندفاع

إذا كان النداء هو "شرارة البدء"، فإن التحريض هو "الوقود المقدس" الذي يحول العاطفة الخام إلى فعل ثوري مُنظم ومستمر. التحريض في خطاب المقاومة لا يأتي كفعل قسري أو إملاء خارجي، بل هو "تحريض جمالي وقيمي" ينبع من صميم الحق؛ يعتمد على استراتيجية "الترغيب في التلال" و"الترهيب من السقوط في قعر النسيان".

في هذا المقام، تبرز الأساليب الإنشائية الطلبية (الأمر، النهي) كأدوات تحريضية كبرى؛ فقول المقاوم "ثوروا" أو "امضوا" أو "ارفضوا" ليس مجرد أوامر ميكانيكية، بل هو "نفث للروح" في الهياكل التي أضناها الانتظار. إن بلاغة التحريض تعتمد إلى استثارة مكامن "الأنفة العربية" والمقدسات الروحية، محولةً اللغة من وعاء ساكن للمعاني إلى "قوة ضاربة" تعيد تشكيل خارطة الواقع؛ فالكلمة الصادقة في خطاب التحريض هي الرصاصة الأولى التي تخترق جدار الخوف قبل أن تخترق حصون العدو².

التداخل الوظيفي بين النداء والتحريض (جدلية القول والفعل)

إن العبقرية البيانية في هذا المطلب تكمن في ذلك الخيط النوراني الرفيع الذي يربط بين نداء "الأنا" المقاومة لـ "الآخر" المستنهض، وبين الغاية القصوى وهي "الفعل". فالنداء يمهد الأرضية النفسية ويغسل أدران الحيرة، والتحريض يزرع بذور الثورة في التربة التي باتت مستعدة للإنبات.

¹ عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، 1992، ص 405.

² عماد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 128.

وفي موروثنا الأدبي، لطالما كانت "الصرخة" هي المقدمة الطبيعية لـ "الوثبة"؛ وبذلك ينجح الخطاب المقاوم في جعل "الكلمة" جسراً ملكياً يعبر عليه المتلقي من ضفة "الخمول والاندثار" إلى ضفة "الخلود وصناعة التاريخ". إن هذا التلاحم بين النداء كاستهلال والتحريض كمنتهى يجسد أرقى مستويات التحفيز المضموني، حيث تصبح اللغة هي الحارس الأمين الذي يمنع الهوية من التآكل تحت وطأة الزمان¹. إن النداء في محراب المقاومة هو 'أذان الحرية'، والتحريض هو 'إقامة الصلاة في ميدان التحرير'؛ فلا استجابة بلا نداء، ولا نصر بلا حراك. لقد استطاع أدبنا المقاوم أن يروّض اللغة لتكون 'مغناطيساً' روحياً يجذب القلوب الواجفة، ثم يعيد صهرها في أتون التحريض، لتخرج في النهاية سبيكة صلبة من العزم. إن دراسة هذا المطلب هي كشفٌ عن كيفية صمود 'البيان' أمام أعاصير 'المحو'، وكيف تظل الكلمة الشريفة هي القلعة الأخيرة التي تحمي ذاكرة الأمة من التفتت والاندثار.

المطلب الثاني: بناء الانا والآخر

إن خطاب المقاومة في جوهره هو فعلٌ "خلق لغوي" يعيدُ ترتيبَ الفوضى التي أحدثها الاستعمار في الوعي؛ إذ لا يستقيم لهذا الخطاب عودٌ، ولا تكتملُ له صورةٌ، إلا برسمِ حدودٍ فاصلةٍ وقطعيةٍ حادةٍ بين عالمين لا يلتقيان؛ "أنا" تمثلُ محرابَ الحقِّ وجوهرَ الوجودِ الأصيل، و "آخر" يمثلُ شتاتَ الباطلِ وطارئِ العدمِ العابر.

إن بناءَ هذه الثنائية في الأدب العربي المقاوم ليس مجردَ توصيفٍ سياسيٍّ عابرٍ، بل هو "ترسيمٌ أخلاقيٌّ وكيנוني" يسعى لاستعادةِ الذاتِ المقموعة من ركامِ النسيان، وتهشيمِ صورةِ الطاغية التي أرادَ لها أن تكونَ "قدراً محتوماً".

تجليات الـ (أنا) الجماعية: من ضمير الفرد إلى رجم الأمة

في محرابِ المقاومةِ الباذخ، يذوبُ ضميرُ المتكلمِ المفردِ الخائفِ لينصهرَ في "نحنُ" الكبرى؛ تلك الـ "نحن" التي لا تمثلُ مجردَ حشدٍ عدديٍّ أو تراكمٍ بشريٍّ، بل هي "خزانٌ قيميٌّ وتاريخي" تمتدُّ عروقه في أزلية الترابِ وصفاءِ الهوية. إن الـ "أنا" المقاومة في المتن الأدبي هي "أنا" استعلائيةٌ بالحق، تستمدُّ مشروعيتها من شموخِ التراث، وقداسةِ الأرض، ونبالةِ المظلومية التي تأبى الانكسار.

¹ فريد عبد الفتاح أبو ضهير مرجع سابق، ص 146

هنا، يخلع المقاوم عباءة الكائن الذي يلهث خلف خلاصه الفردي الضيق، ليرتدي حلة "الصوت الجمعي" الذي يختزل في نبرته أنين الجبال وأحلام الأجداد المعلقة على مشانق الحرية. وبذلك ينجح الخطاب في نقل الذات من زنزانة "الانكسار السيكلوجي" تحت وطأة المحتل إلى فضاء "الاستعلاء الإيماني" واليقين المطلق بالعدالة؛ مما يجعل من هذه الـ "أنا" حصناً لغوياً ووجودياً عصياً على التذويب الثقافي أو الاندثار التاريخي¹.

صورة الـ (آخر): تفكيك المركزية ونزع هالة القداسة

على الطرف النقيض، ينهض الخطاب المقاوم بمهمة مقدسة وهي "تفتيت صنم الكولونيالية" وتعرية زيفه؛ حيث يُشيدُّ صورةً لـ "آخر" المستعمر بوصفه كياناً طارئاً، هجيناً، ومجرداً من أيّ مسوغ أخلاقي أو حضاري يبرر بقاءه. إنَّ "الآخر" في ميزان أدب المقاومة ليس "نداً" يُحاور، بل هو "نقيض" يُنبذ، يُرسمُ بملامح تنطق بالقبح والزيف والوحشية المفرغة من الآدمية.

تعتمد الاستراتيجية الأدبية هنا على "نزع القداسة" عن القوة المادية الباطشة للمحتل، وتصويره ككيان مهزوز داخلياً، مسكون بالرعب رغم دروعه وسلاحه. إنَّ هذا "التشريح البلاغي" للمستعمر يهدف إلى تقويض أسطورة "القوي الذي لا يُقهر" في وجدان المتلقي، مما يفتح آفاق التحرر النفسي قبل الميداني. فالآخر في الخطاب هو الرمز الصرّف للنسيان والمحو، ومواجهته لغوياً هي أولى معارك الانتصار عليه وجودياً؛ فالكلمة التي تسميه "غازياً" أو "عابراً" هي الكلمة التي تنفي عنه صفة الاستقرار².

جدلية الصراع اللغوي: المسافة المطلقة بين الحق والباطل

تتجلى عبقرية هذا المطلب في "المسافة الجمالية الصارمة" التي يخلقها الخطاب بين الـ (أنا) والـ (آخر)؛ فهي مسافة لا تعترف باللون الرمادي أو أنصاف الحلول. يستخدم الأدب العربي المقاوم في هذا السياق أدوات "المقابلة" و"الطباق" ليس كزينة لفظية، بل كضرورة بنيوية لترسيخ الصراع؛ فالأنا هي (النور، الأرض، الثبات، الخلود)، بينما الآخر هو (الظلمة، الغريب، الزوال، الاندثار).

¹ عماد عبد اللطيف، مرجع سابق ص 120-125

² باتريك شارودو، "تحليل الخطاب السياسي"، ترجمة عبد القادر فهم شيباني، الجزائر، 2008، ص

هذا التقابل الحادّ هو الذي يصنع "التعبئة الوجدانية" الكبرى؛ حيث يجدُّ القارئ نفسه مدفوعاً بقوة البيان للانحياز الكليّ لفسطاط الـ "أنا"، دفاعاً عن كيانه من التلاشي. وبذلك، تتحول الثنائية اللغوية إلى "خندقٍ فكريّ" حصينٍ يحفظُ الذاكرةَ الوطنية من التآكلِ أمام رياحِ التغريبِ وعواصفِ الاحتلالِ التي تسعى لمحوِ المعالمِ واستبدالِ الحقائق¹.

إنّ هندسة "الأنا والآخر" في أدب المقاومة هي عملية "إعادة خلقٍ للكون" من جديد؛ فالأديبُ المقاومُ لا يكتفي بوصفِ الواقعِ الكئيب، بل يبني وطناً شامخاً من أبجدياتِ الصمود. إنّ الـ "أنا" هي الشجرة المباركة الضاربةُ بجذورها في سُرّة الأرض، والـ "آخر" هو الفأسُ المثلومةُ التي ستكسرُها صلابَةُ الأيام. ومن خلالِ هذا التقابلِ الوجودي، ينبجُ الخطابُ في جعلِ "الكلمة" هي الحارسُ الأمينُ الذي يحمي الذاتَ من المحو، والوطنَ من الاندثار؛ مؤكداً أنّ فجرَ التحريرِ يبدأ حينَ ينتصرُ "ضميرُ المتكلم" في ساحةِ اللغة قبلَ أن يُعلنَ انتصاره في ساحةِ الميدان.

المطلب الثالث: الحجج العقلية والعاطفية

إنّ خطابَ المقاومة ليس مجردَ عاطفةٍ ثائرةٍ تعصفُ بها رياحُ الحماسة، كما أنه ليس منطقاً رياضياً جافاً يفتقرُ إلى الروح؛ بل هو نسيجٌ مُحكمٌ يزوِّجُ بين "الحجة العقلية" (اللوغوس) التي تتوخى اليقين، وبين "الحجة العاطفية" (الباثوس) التي تستدرُّ الدمعَ وتستنهضُ الهمم. إنّ هذا التزاوج هو الذي يمنحُ خطابَ المقاومة ميزتهَ الأسلوبية، حيث تتحول الكلمةُ إلى "قناعة" في العقل و"ثورة" في القلب في آنٍ واحد.

الحجج العقلية (اللوغوس): برهانُ الحق وسلطةُ المنطق

تتهضُّ الحججُ العقليةُ في أدب المقاومة بمهمة "التأصيل المنطقي" للمواجهة؛ فالخطابُ هنا يعتمدُ على لغةِ الوقائعِ الجلية، والسننِ التاريخية، والمواثيقِ الأخلاقية والقانونية. يستخدمُ المقاومُ الحجةَ العقليةَ ليفككُ سرديّةَ المحتلِّ الواهية، مبرهنًا على أنّ "الحقَّ لا يموتُ بالتقادم"، وأنَّ "إرادة الشعوبِ قدرٌ لا يُرد". في هذا السياق، يتوسلُّ الأدبُ المقاومُ بالروابطِ المنطقية (السببية، والمقارنة، والاستنتاج) ليبينَ للمتلقي أنّ المقاومةَ هي "الخيارُ العقلانيُّ الوحيد" والمسارُ الطبيعيُّ للكرامة. إنّ هذه العقلانية تمنحُ الخطابَ رصانةً

¹ فريد عبد الفتاح أبو زهير مرجع سابق، ص 148.

تمنعه من الاندثار أمام الدعاية المضادة، وتجعل من التمسك بالأرض واجباً تمليه الفطرة السليمة قبل أن تمليه الشعارات¹.

الحجج العاطفية (الباثوس): اشتعال الوجدان وصناعة الصمود

إذا كان العقل يقتنع بالبرهان، فإنَّ النفس لا تتحرك إلا بالوجدان؛ ومن هنا تبرز الحجج العاطفية كطاقة هائلة في خطاب المقاومة. يعمد الأديب المقاوم إلى استثارة كوامن النفس عبر استحضار صور المظلومية، ومعاناة الضحايا، وقوة الحنين إلى المسرى والديار، وقداسة الشهادة. إنَّ توظيف العاطفة في الأدب العربي المقاوم ليس استجداءً للشفقة، بل هو "استهاضٌ للأنفة"؛ فالحرز هنا يتحول إلى غضب، والدمع يصبح وقوداً للمواجهة. تستمد هذه الحجج قوتها من الموروث القيمي والديني، حيث تُربط التضحية بالخلود، والألم بالأمل. إنَّ هذه "الحرارة الوجدانية" هي التي تحمي الخطاب من التحول إلى مجرد تنظير بارد، وهي الحارس الأمين الذي يمنع الذاكرة من الانطفاء أو الاندثار تحت وطأة اليأس².

التأزر الأسلوبية: حين يغدو المنطق شاعرياً

إنَّ قمة الإبداع في هذا المطلب تكمن في صهر العقل والعاطفة في بوتقة واحدة؛ فالخطاب المقاوم يلبس الحجة العقلية ثوباً من البيان المؤثر، ويمنح العاطفة الثائرة سنداً من المنطق الرصين. هذا التأزر هو الذي يخلق ما نسميه بـ "اليقين الثوري"؛ حيث لا يكتفي المتلقي بفهم عدالة قضيتهم عقلانياً، بل يشعر بضرورة الانتماء إليها وجدانياً.

هذا التلاحم الأسلوبية هو السد المنيع ضدَّ "الاندثار النفسي"؛ فبينما يثبت العقل (الأنا) في وجه (الآخر)، تقوم العاطفة بشحن هذه الـ (أنا) بالحياة والقدرة على الاستمرار. إنَّ اللغة هنا تتجاوز كونها وعاءً لتصبح "فعل مقاومة" في حدِّ ذاته، تُقنع العقول لتمهّد الطريق لزحف القلوب³.

إنَّ تزاوج العقل والعاطفة في أدب المقاومة هو تزاوج 'الضوء' و'النار'؛ فالضوء (العقل) يكشف زيف المحتلّ وينير طريق الحق، والنار (العاطفة) تحرق يأس النفوس وتمنح الدفء للمرابطين.

¹ عماد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 132.

² فريد عبد الفتاح أبو ضهير مرجع سابق، ص 146.

³ صلاح فضل، مرجع سابق، ص 160.

لقد استطاع البيان المقاوم أن يحول "الحجة" إلى صلاة، و"المنطق" إلى ملحمة؛ وبذلك انتصرت الكلمة على المحو، وظلت الهوية نابضة بالحياة، ترفض الاندثار لأنها استندت إلى عقل يعي كرامته وقلب يأبى دون العزة سبيلاً.

المطلب الرابع: صناعة الهوية الجماعية

يعدُّ هذا المطلب الثمرة الكبرى والاستحقاق الأسمى لخطاب المقاومة؛ فصناعة الهوية الجماعية هي الغاية التي تتجاوزُ حدود اللحظة الراهنة لتستشرف آفاق الخلود. إنَّ الهوية في محراب الأدب العربي المقاوم ليست كياناً ساكناً موروثاً أو حرياتٍ منسية في ركام الماضي، بل هي "مشروعٌ كيانِي يُعادُ بناؤه" مع كل نبضة كلمة وكل فعل صمود، وهي الدرْع اللغويّ المنيع الذي يحولُ دون تآكل الذات الوطنية أو ذوبانها في قوالب "الآخر" المحتل.

الخطاب بوصفه بوتقةً للصهر: من "الأنا" الشتات إلى "النحن" القلعة

يعملُ الأدبُ المقاومُ كقوةٍ مغناطيسيةٍ جبارة تذيبُ الفوارقَ الفرديةَ الهشة وتهمُّشُ الانتماءاتِ الجزئية الضيقة لصالح "الهوية الكبرى" الجامعة. هنا، يتخلى الفردُ عن شرنقته الذاتية، فلا يعودُ يرى نفسه ككيانٍ مستقلٍ يعيشُ لنفسه، بل كعصبٍ حيٍّ في جسدٍ أمةٍ واحدٍ؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعت له سائرُ اللغة والوجدان بالحمى والصمود.

يستخدمُ الخطابُ رموزاً سيادية (الأرض المقدسة، التاريخ المثخن بالبطولة، اللغة الشريفة) لتمثل "الغراء" الروحي الذي يربطُ أجزاء المجتمع المبعثرة. إنَّ صناعة الهوية هنا هي عمليةٌ "تنميطةٌ ثوري إيجابي"، حيث تُصهرُ الصفاتُ الفردية لتصبحَ البطولة والفداء والرفضُ هي السمات الجينية للمواطن المقاوم. بهذا الصهر الجمالي، يخلق الخطاب جبهةً نفسيةً موحدةً تتحطمُ عليها أمواجُ المحو وأعاصيرُ الاندثار التي يطلقها المستعمر¹.

الذاكرة كفعلٍ مقاومة: استحضارُ الأمجاد في وجه التبديد

¹ عماد عبد اللطيف، مرجع سابق، 2012، ص 135.

إنَّ صناعة الهوية في المتن الأدبي العربي لا تتفصل عن "استراتيجية التذكر الحاد"؛ فالمحتل يراهن على "هزيمة الذاكرة" وفرض النسيان (الاندثار الذهني)، بينما يراهن المقاوم على قداسة الاستحضار. يعمد الخطاب بوعي فائق إلى ربط الحاضر المثقل بالماضي المدجج بالأمجاد، ليس من قبيل الارتداد العاطفي أو التغني بالأطلال، بل لضخ دماء "اليقين" في عروق المستقبل.

في هذا الفضاء، يتوقف الشهداء عن كونهم مجرد أسماء في سجلات الموت، وتتحول المعارك التاريخية إلى "أيقونات" حية تُبث فيها الروح من جديد لتقاتل في الحاضر. هذه "الذاكرة المتقدة" تجعل من الفرد المعاصر حلقة في سلسلة ملحمة لا تنقطع، مما يمنح المقاوم شعوراً بـ "الخلود الرمزي". إن الهوية هنا هي الحصن الحصين الذي يأبى أن تسقط ملامحه تحت وطأة الزمان أو تنتشوه معالمه بفعل آلة التزييف الاستعماري¹.

هوية "الفعل": الانتماء بوصفه التزاماً وجودياً

تتجلى عبقرية الأدب المقاوم في نقل الهوية من حيز "الاسم" إلى فضاء "الفعل"؛ فالمنتمي لهذه الهوية ليس من يتغنى بصفاتها فحسب، بل من يمارس مقتضياتها في الميدان. إنَّ الهوية الجماعية في هذا المطلب هي "هوية كفاحية بامتياز"، تُعرف بمدى تجذرها في رفض المساومة وتمسكها بحق العودة.

يلبس الخطاب هذه الهوية وشاحاً من القداسة الأخلاقية، مما يجعل من التخلي عنها ليس مجرد خيانة سياسية، بل ضرباً من "الانتحار الوجودي" والضياع في تيه العدم. وبذلك، تتجسّد الكلمة في تشييد "وعي جمعي" عابر للأجيال، يضمن انتقال جمر المقاومة من كفٍ إلى كف، لتظل جذوة الحق متقدة في ليل الغربة، تأبى الانطفاء أو الاندثار حتى تنبلج شمس التحرير².

إنَّ صناعة الهوية في محراب المقاومة هي كتابة 'سفر الخلود' بمداد الصمود؛ فالهوية ليست رداءً طارئاً نرتديه في المناسبات، بل هي 'الروح' التي تسكن مفاصل كلماتنا وتنبض في شرايين أفعالنا. لقد استطاع البيان المقاوم أن يحول 'شتات الأنفس' إلى 'بنيانٍ مرصوص' لا تنفذ منه رياح الهزيمة، وجعل من 'الذاكرة' سلاحاً لغوياً أمضى من نصال الفولاذ. إنَّ معركة الهوية هي المعركة الوحيدة التي لا تُهزم فيها الكلمة الصادقة؛ لأنها حين تصنع 'النحن' الكبرى، فإنها توصل أبواب النسيان وتفتح نوافذ التاريخ على

¹ باتريك شارودو مرجع سابق، ص 104

² فريد عبد الفتاح أبو ضهير مرجع سابق، ص 148.

مصراعها، مؤكدةً للعالم أنَّ الشعوب التي تعجنُ هويتها بالدم والبيان، هي شعوبٌ عصيةٌ على المحو.. وأزليةٌ كالأرض التي تُقاتلُ من أجلها.

نخلصُ في ختام هذا المبحث الأول إلى أنَّ خطاب المقاومة ليس مجرد رصفٍ للكلمات، بل هو "هندسةٌ وجوديةٌ" متكاملة الأركان؛ بدأت بـ النداء كشراًةٍ أولى استهضت الذات من سبات النسيان، لتضعها أمام مرآة مسؤوليتها التاريخية. وقد رأينا كيف نجح الخطاب في تشييد ثنائية (الأنا والآخر)، فرسم حدوداً لا تقبل المهادنة بين حقٍّ أصيل وباطلٍ طارئ، محطماً بذلك أصنام الهيبة الزائفة للمحتل في وجدان المتلقي. كما كشف التحليلُ عن عبقرية المقاوم في المزوجة بين الحجج العقلية والعاطفية؛ فلم يكتفِ بإقناع العقول ببرهان المنطق وحتمية التاريخ، بل ألهم القلوب بحرارة الوجد وفلسفة الفداء، ليخلق حالةً من "اليقين الثوري" الشامل. وكل هذه المسارات قد صبّت في النهاية في بوتقة صناعة الهوية الجماعية؛ ذلك الحصن اللغوي والقيمي الذي صهر شتات الأنفس في "نحن" كبرى، عصية على الذوبان وأزلية في مواجهة محاولات المحو والاندثار.

إنَّ المحصلة النهائية لهذا المبحث تؤكد أنَّ خطاب المقاومة قد استطاع تطويع اللغة لتكون "درعاً للذاكرة" و"سيفاً للحق"؛ محولاً النص من حالة السكون إلى حالة الفعل، ومن مجرد تعبير عن قضية إلى صانعٍ لهويةٍ أبيةٍ تأبى أن تتدثر، وقدرها الدائم هو البقاء والشهود.

المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة

إذا كانت الاستراتيجيات الحجاجية التي تلمسناها في المبحث الأول تمثل "العقل المدبر" لخطاب المقاومة وهيكله المنطقي، فإن هذا المبحث يأتي لـ يسبر أغوار "المستوى المضموني"، حيث تتحول اللغة من مجرد ناقل جامد للأفكار إلى "مستودعٍ قيمٍ" مشحون بالرموز الكبرى التي تعيد صياغة الوعي وترسم ملامح الوجود.

إن خطاب المقاومة لا يكتفي بالإقناع البرهاني، بل يمد جسوره نحو "اللاوعي الجمعي" عبر استحضار رموزٍ تتجاوز حدود اللحظة الراهنة لتعانق الخلود، مشكلاً بذلك "ذاكرةً مضادة" تنكسر عليها كل محاولات المحو والتبديد التي يمارسها الآخر؛ وسنعمل في هذا المقام على تفكيك هذه الشيفرات الرمزية من

خلال أربعة مطالب متكاملة، تستهل بـ الرموز الوطنية التي تحيل الجغرافيا الصامتة إلى "أيقونات" مقدسة تنطق بحق الأرض وسيادة المعالم، ثم نخرج على الرموز الدينية لنرصد كيف يستمد الخطاب مشروعيته من "المقدس"، موظفاً قيم الشهادة واليقين الإلهي كدروع روحية لا تُخترق، لنصل بعدها إلى الرموز التاريخية والبطولية التي تستنطق أمجاد الماضي لتبعثها في عروق الحاضر عبر استراتيجية "الاستحضار والاقتداء"، وصولاً في الختام إلى سبر أغوار الدلالة الإيحائية في الخطاب، حيث تغدو "ظلال الكلمات" وما وراء المعاني المباشرة أسلحة بلاغية تلامس وجدان المتلقي وتزلزل يقين المحتل، محولة اللغة في أقصى طاقتها التأثيرية إلى قلعة حصينة تحمي الهوية الوطنية من غوائل النسيان والاندثار.

المطلب الأول: الرموز الوطنية

يمثل الرمز الوطني في خطاب المقاومة حجر الزاوية في بناء "الوجدان الثوري"؛ فهو ليس مجرد إشارة عابرة إلى جغرافيا صامتة أو تضاريس جامدة، بل هو استحضار مكثف لكيونة الأمة وصهرها في مفردات بصرية ومعنوية تتجاوز رتبة الزمن.

إن خطاب المقاومة يعمد بوعي فائق إلى تحويل "الوطن" من مجرد خارطة حدودية مرسومة بالحرر إلى "أيقونة وجدانية" محفورة في الذاكرة، حيث تصبح الأرض في المتن الأدبي هي العرض، والكرامة، والامتداد الروحي الذي لا يقبل القسمة أو المحو.

❖ سيميائية الأرض: من الجغرافيا الصامتة إلى الانتماء الوجودي

تتحول "الأرض" في الخطاب المقاوم من حيز مكاني فيزيائي إلى رمز سيادي مطلق ومقدس؛ فالأرض في لغة الثوار ليست مجرد تراب وصخور، بل هي "رَجْمُ الوجود"، و"الملاذ الأخير"، و"جوهر الهوية". يشحن الأدب المقاوم مفردات الأرض بدلالات القداسة، فكل شبر فيها يتحول إلى شاهد حي على تضحيات الأجداد. إن استحضار الأرض كرمز وطني يهدف إلى خلق "التحام عضوي" ومصري بين المقاوم وترابه، مما يجعل من الدفاع عنها واجباً قديماً يتجاوز الحسابات المادية. وفي التجربة الجزائرية،

برزت الأرض كرمز للصمود الأبدي، حيث استطاعت اللغة أن تحيل الجبل والسهل إلى قلاع فكرية وحصون لغوية تتحطم عليها أوهام المستعمر في طمس الهوية أو تزيف الانتماء¹.

❖ العلم والنشيد: تجليات السيادة والذاكرة البصرية والسمعية

يعد "العلم" في خطاب المقاومة الرمز البصري الأكثر حضوراً والأعمق دلالة؛ فهو لا يُقرأ بوصفه قطعة قماش، بل بوصفه "نصاً بليغاً" يختزل في ألوانه فلسفة الأمة؛ فدماء الشهداء (الأحمر) تمنح الشرعية، ونقاء المقصد (الأبيض) يمنح الطهر، واخضرار الأمل (الأخضر) يمنح الاستمرارية. إن الخطاب المقاوم يرفع العلم كـ "راية مجد" ترفرف في سماء الحقيقة لتعلن بطلان رواية "الآخر". يتأزر هذا الرمز البصري مع "النشيد الوطني" ليشكلوا معاً "الدرع الوجداني" للأمة؛ فالنشيد بكلماته الثائرة التي تشبه قرع الطبول، يمثل نداءً مستمراً للاستنهاض وتجديد العهد. هذا التوظيف الرمزي يهدف إلى صياغة "كتلة شعورية" موحدة تلتف حول هذه الثوابت السيادية، مما يمنع الذات الوطنية من التآكل أو الذوبان أمام محاولات التغريب الثقافي².

❖ المعالم الرمزية: الجغرافيا بوصفها نصاً نضالياً ممتداً

يعتمد خطاب المقاومة إلى "تأليه" معالم جغرافية محددة لتتحول إلى رموز وطنية خالدة تتجاوز صفتها الطبوغرافية (مثل الأوراس الأشم، أو جرجرة العصية، أو مقام الشهيد الشامخ). هذه المعالم تتحول في النص من مجرد "تضاريس" إلى "شواهد تاريخية ناطقة"؛ فالأوراس في الأدب الجزائري ليس مجرد سلسلة جبلية، بل هو رمزٌ كوني للشرارة الأولى، وعنوانٌ للشموخ الذي لا ينحني أمام العواصف. إن استحضار هذه المعالم يمنح الخطاب "عمقاً مكانياً" ويربط الأجيال الجديدة بملاحم الأرض ربطاً وثيقاً، مما يعزز من مفهوم "الوطنية العابرة للأجيال". إن الرمز الوطني في هذه الحالة هو الحارس الأمين الذي يوصد أبواب النسيان، ويجعل من الوطن نصاً مفتوحاً على الدوام لملاحم البطولة والشهادة.

¹ عماد عبد اللطيف مرجع سابق، ص 162

² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 210.

إن الرموز الوطنية في خطاب المقاومة هي 'البوصلة الوجدانية' التي لا تخطئ اتجاه الحرية مهما ادهمت الخطوب؛ فيها يعاد رسم ملامح الوطن في شغاف القلوب قبل أن تُرسم على الورق. لقد استطاع البيان المقاوم ببراعة فائقة أن يحول 'التراب' إلى 'تبر'، و'النشيد' إلى 'وحي ملهم'، و'العلم' إلى 'نبض حي'؛ وبذلك انتصرت الجغرافيا الحقيقية على التاريخ الزائف الذي حاول المحتل فرضه قسراً. إن دراسة هذا المطلب تكشف لنا كيف استُحِلت 'الجزائر' في لغة المقاومة من مساحة جغرافية صلبة إلى 'عقيدة وجودية' عابرة للزمن، تظل شاهدة على أزلية الحق وصمود الهوية في وجه الاندثار.

المطلب الثاني: الرموز الدينية

إذا كانت الرموز الوطنية ترسم حدود الأرض، فإن الرموز الدينية هي التي تمنح هذه الأرض "قداسة" وتجعل من الدفاع عنها تكليفاً إلهياً قبل أن يكون واجباً وطنياً. إن خطاب المقاومة يعتمد إلى استحضر المقدس ليس لمجرد التبرك، بل لصياغة "عقيدة قتالية" تكسر حاجز الخوف من القوة المادية للمحتل، وتستبدلها بـ "استعلاء إيماني" يرى في النصر قدراً، وفي التضحية خلوداً.

❖ سيميائية الشهادة: الموت بوصفه جسراً للحياة

يعد رمز "الشهيد" هو الأكثر حضوراً في هذا المطلب؛ فالشهادة في لغة المقاومة ليست "عدمًا" أو فناءً، بل هي "انتقال" إلى حيوية أسمى. يشحن الخطاب هذا الرمز بدلالات مستمدة من النص القرآني، ليحول مشهد الدم من "ألم" إلى "أمل". إن الشهيد يصبح في النص "أيقونة" للخلود، ودمه هو الرمز الذي يطهر الأرض ويمنح الشرعية لمن خلفه. هذا التوظيف الرمزي يهدف إلى تحويل "الموت المادي" من فزاعة يستخدمها المحتل إلى "أمنية" يسعى إليها المقاوم، مما يُعطل أقوى أدوات الإرهاب الاستعماري¹.

❖ مفاهيم "الجهاد" و"اليقين": سلاح الغيب في وجه المادة

يبرز رمز "الجهاد" كإطار شرعي وقيمي للمواجهة؛ فهو يخرج المعركة من سياقها "السياسي" المحدود إلى سياقها "الرسالي" الممتد. يتأزر معه مفهوم "اليقين الإلهي" (كالتوكل والاستتصار بالله)، ليصنع درعاً

¹ عماد عبد اللطيف مرجع سابق، ص 168.

نفسياً للمقاوم. إن الخطاب هنا لا يعتمد على توازن القوى المادي، بل يستحضر "سلطة الغيب" كقوة مساندة، مما يزرع في روع المتلقي أن المعركة ليست بين "بشر وبشر"، بل هي بين "حق مدعوم من السماء" و"باطل طارئ". هذا التوظيف للمقدس يضمن عدم "الاندثار المعنوي" تحت وطأة الهزائم العسكرية المؤقتة¹.

❖ المكان المقدس: حين تغدو الأرض محراباً

لا يكتفي الخطاب بالرموز المعنوية، بل يقدر "المكان" دينياً (مثل المسجد، القبلة، الرباط). تتحول الأرض الجزائرية في خطاب الثورة، أو الأرض الفلسطينية في خطاب المقاومة المعاصر، إلى "أرض رباط"، مما يجعل من كل خطوة فيها فعل عبادة. إن ربط المكان بالمقدس الديني يمنحه حصانة ضد التنازل، فالمقدس لا يُباع ولا يُشتري؛ وبذلك تتجسّد اللغة في سدّ كل ثغرات المساومة، محولةً الدفاع عن "المعلم الديني" إلى دفاع عن الذات الإلهية والكرامة الإنسانية في آنٍ واحد².

إن الرموز الدينية في خطاب المقاومة هي 'الروح' التي تُنفخ في جسد الكلمة لتجعلها خالدة؛ فبها يتجاوز المقاوم حدود الزمن الأرضي ليعانق المطلق. لقد استطاع البيان المقاوم أن يحول 'الرصاص' إلى 'تسبيح'، و'الخنق' إلى 'محراب'، و'الدم' إلى 'نور'؛ وبذلك انتصر 'الغيب' على 'المادة'. إن دراسة هذا المطلب تكشف لنا كيف تحولت القضية في لغة المقاومة من نزاع على حدود إلى 'ميثاق غليظ' مع الخالق، مما جعل الهوية المؤمنة عصيةً على المحو، وأزليةً كاليقين الذي تسكن إليه القلوب الثائرة.

المطلب الثالث: الرموز التاريخية والبطولية

يمثل التاريخ في خطاب المقاومة "المرجعية الملهمة" والوقود المعنوي الذي لا ينضب؛ إذ لا يكتفي الخطاب بسرد الوقائع الغابرة، بل يعتمد على "تجميد الزمن" واستحضار أبطال الماضي ليقاوتوا جنباً إلى جنب مع أبطال الحاضر. إن استدعاء الرمز التاريخي والبطولي في الأدب العربي المقاوم هو "استراتيجية دفاعية"

¹ فريد عبد الفتاح أبو ضهير مرجع سابق، ص 152.

² علي حرب، مرجع سابق، ص 92.

تهدف إلى إثبات الجذور وضمان استمرارية الروح النضالية عبر الأجيال، محولةً "الأسطورة الشخصية" للبطل إلى "منهج عمل" جماعي.

❖ استحضار البطل التاريخي: "التناص الرمزي" وبعث القدوة

يعمد الخطاب المقاوم إلى استدعاء شخصيات تاريخية فارقة (مثل خالد بن الوليد، طارق بن زياد، أو الأمير عبد القادر في السياق الجزائري) لتكون رموزاً للشموخ والقدرة على دحر المحتل مهما بلغت قوته. إن البطل التاريخي في النص ليس مجرد ذكرى، بل هو "قناعٌ درامي" يرتديه المقاوم المعاصر ليستمد منه العزم. هذا "التناص الرمزي" يهدف إلى طمأنة المتلقي بأن النصر هو "سنة تاريخية" تكررت في الماضي وستتكرر في الحاضر، مما يكسر حاجز الرهبة أمام التفوق المادي للعدو ويحمي الذاكرة من التلاشي¹.

❖ رمزية المعركة الفاصلة: استعادة "الزمن البطولي"

لا يقتصر الاستحضار على الأشخاص، بل يمتد ليشمل "المعارك الكبرى" التي شكلت وعي الأمة (مثل بدر، حطين، أو معارك الثورة التحريرية الكبرى). تتحول هذه المعارك في خطاب المقاومة إلى "نماذج إرشادية" تؤكد أن القلة المؤمنة قادرة على غلبة الكثرة الباغية. إن إعادة إنتاج "الزمن البطولي" داخل النص المقاوم يهدف إلى ربط النضال الراهن بسلسلة ذهبية من الانتصارات، مما يمنح القضية "عمقاً تاريخياً" ويجعل من الصمود فعلاً متصلاً لا ينقطع بالزمن، وهو ما يمثل ذروة التحفيز المضموني².

❖ ملاحم المقاومة الشعبية: الرمزية الوطنية كجسر للثورة

في التجربة الجزائرية تحديداً، برزت رموز المقاومة الشعبية (مثل لالا فاطمة نسومر، الشيخ الحداد) كرموز بطولية صهرت الوعي الوطني قبل اندلاع الثورة الكبرى. يستخدم خطاب المقاومة هذه الرموز ليؤكد

¹ عماد عبد اللطيف مرجع سابق، ص 172.

² فريد عبد الفتاح أبو ضهير مرجع سابق، ص 154.

على "وحدة المصير" وتراكم الفعل النضالي. إن الرمز البطولي هنا هو الحارس الأمين للهوية؛ إذ يبين أن المقاومة ليست "حدثاً طارئاً" بل هي "جينٌ أصيل" في الشخصية الوطنية. هذا الربط يحمي الأجيال من "الاندثار الثقافي" ويجعل من كل شابٍ مقاومٍ وريثاً لآلاف السنين من الكبرياء والرفض¹.

"إن الرموز التاريخية والبطولية في خطاب المقاومة هي 'الجسور' التي تعبر عليها الأمة من ضيق الحاضر المأزوم إلى رحابة التاريخ المجيد؛ فيها يتنفس المقاوم رئة الأبطال العظام. لقد استطاع البيان المقاوم ببراعة مذهلة أن يحول 'التاريخ' من حكايات تُروى إلى 'دماءٍ تجري' في العروق، وجعل من 'البطل' الراحل 'ملهماً يقود المعارك' الراهنة بكلماته وصموده؛ وبذلك انصهر 'الماضي' في 'الحاضر' ليشكلاً معاً مستقبلاً عصياً على الانكسار.

إن دراسة هذا المطلب تكشف لنا كيف تحولت 'البطولة' في لغة المقاومة من حدثٍ زمني عابر إلى 'قيمةٍ أزلية' تحفظ الهوية من المحو، وتضمن بقاء الأمة شاهدةً وشهيدةً على مر العصور".

المطلب الرابع: الدلالة الإيحائية في الخطاب المقاوم

إذا كانت الرموز (الوطنية والدينية والتاريخية) تمثل أعمدة المستوى المضموني، فإن الدلالة الإيحائية هي الروح التي تسري في جسد هذا الخطاب؛ فهي تلك القوة الخفية التي تجعل الكلمة تقول أكثر مما تنطق، وتوحي بأبعادٍ تتجاوز المعنى المعجمي الصريح. إن خطاب المقاومة يعتمد ببراعة إلى "تثوير اللغة" عبر شحنها بظلالٍ دلالية تلامس اللاشعور الجمعي، محولاً النص من أداة للإخبار إلى طاقة للإلهام والتحريض الصامت.

❖ انزياح المعنى: من التقرير إلى التأثير الإيحائي

لا يعتمد خطاب المقاومة على اللغة التقريرية الجافة، بل يميل إلى "الانزياح" الذي يفتح آفاقاً رحبة للتأويل؛ فحين يتحدث الخطاب عن "الفجر"، "الزيتون"، أو "العاصفة"، فإنه لا يشير إلى ظواهر طبيعية، بل يوحي بـ (التحرر، التمسك بالأرض، والثورة العارمة). هذا التوظيف الإيحائي يمنح الخطاب "حصانةً

¹ أبو القاسم سعد الله مرجع سابق، ص 215.

بلاغية؛ إذ يمرر الرسائل الثورية عبر استعارات وكنيات تلتف حول رقابة المحتل، وتخطب وجدان المتلقي بذكاءٍ فطري، مما يجعل المعنى عصياً على المحو والاندثار.¹

❖ سيميائية اللون والصوت: الإيحاء العابر للكلمات

تتجاوز الدلالة الإيحائية حدود الحرف لتشمل "اللون" و"الصوت" داخل النص المقاوم؛ فاللون الأحمر يوحي بالتضحية والشهادة دون الحاجة لذكرها، واللون الأخضر يوحي بالبعث واليقين بالنصر. كما أن الإيقاع الصوتي والوقفات في الخطاب توحى بـ (القوة، التحدي، أو الأمل الحزين). إن هذه "الإيحاءات الحسية" تخلق حالة من "التنويم الإيحائي الإيجابي" لدى الجمهور، حيث تتوحد المشاعر خلف القضية، وتصبح اللغة وسيلة لبناء عالمٍ متخيل يرفض واقع الاحتلال ويُبشّر بفجر الحرية الآتي.²

❖ الدلالة الإيحائية كآلية للديمومة وحفظ الهوية

إن الوظيفة الأسمى للإيحاء في خطاب المقاومة هي "تخليد المعنى"؛ فالمعاني الصريحة قد تبلى أو تُنسى، أما "الرموز الإيحائية" فتظل حيةً وقابلة لإعادة التأويل مع كل جيل. إن الإيحاء يحول القضية الوطنية إلى "نصٍّ مفتوح" يستلهم منه الشباب روح الثورة دون أن يفقد الخطاب راهنيته. وبذلك، تتجسّد الدلالة الإيحائية في حماية "الذاكرة الوطنية" من النسيان؛ فهي لغةٌ لا تندثر بمرور الزمن لأنها تعتمد على "جوهر المعنى" لا على قشوره، مما يجعل من الهوية المقاومة بناءً شعورياً متصلاً يأبى الانكسار.³

إن الدلالة الإيحائية في خطاب المقاومة هي "اللغة السرية" التي تتحدث بها القلوب حين يعجز اللسان عن البوح؛ فيها تتحول الكلمة من قيدٍ لغوي إلى 'جناحٍ' يطير بالخيال نحو التحرر. لقد استطاع البيان المقاوم أن يجعل من 'الصمت' إيحاءً، ومن 'الرمز' ثورة، ومن 'الاستعارة' خندقاً؛ وبذلك انتصر 'سحر اللغة' على 'جبروت المادة'. إن دراسة هذا المطلب تكشف لنا كيف تحولت 'الإيحاءة' في لغة المقاومة إلى حارسٍ

¹ علي حرب، "نقد النص"، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص 88.

² محمد شومان، "تحليل الخطاب الإعلامي"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص 145.

³ صلاح فضل، مرجع سابق، ص 165.

أمين للذاكرة، يمنع الهوية من الاندثار، ويؤكد أن ما لا يُقال صراحةً هو في الغالب أشدّ قوةً وأبقى أثراً مما يُنطق به جهاراً.

نخلص في ختام هذا المبحث الثاني إلى أنّ خطاب المقاومة ليس مجرد رصيفٍ للألفاظ أو وعاءٍ للمعاني، بل هو "محرابٌ رمزيٌّ" تتجلى فيه عبقرية الذات العربية في مواجهة محاولات المحو والتبديد. لقد كشف التحليل المعمق لمطالب هذا المبحث أنّ "المستوى المضموني" في الخطاب يمثل خط الدفاع الأخير عن الهوية؛ حيث لم تكن الرموز مجرد زينة أدبية، بل كانت أسلحةً كيانية أعادت صياغة الوجود من جديد. لقد رأينا كيف استحوّلت الجغرافيا عبر الرموز الوطنية من ترابٍ صامت إلى "عقيدة مكانية" مقدسة، وكيف تنفّست الكلمة عبير السماء من خلال الرموز الدينية التي منحت المواجهة بُعداً رسالياً جعل من الشهادة ميلاداً ومن القيد حرية. ثم تبين لنا كيف استجد الحاضر بـ الرموز التاريخية والبطولية، ليثبت أنّ المقاومة "جينٌ وراثي" ممتدّ عبر الأجيال، لا يقطعه غدرُ الزمان ولا بطشُ المحتل. وصولاً إلى الدلالة الإيحائية التي كانت بمثابة "الروح الخفية" للغة، حيث استطاع البيان أن يقول "كل شيء" دون أن ينطق "بأي شيء" صريح، محولاً النص إلى "شيفرة نضالية" تعجز آلات الاندثار عن فك رموزها أو طمس معالمها. إنّ تضافر هذه الرموز الأربعة قد صاغ لنا ما يمكن تسميته بـ "مقاومة المتخيل"؛ وهي المقاومة التي تضمن بقاء القضية حيةً في الوجدان حتى وإن حُصرت في الميدان. وبذلك، يخرج هذا المبحث بنتيجة حتمية مؤداها: أنّ الشعوب التي تسكن رموزها وتعتصم بمقدساتها التاريخية والروحية، هي شعوبٌ عصية على النسيان، وقوية على المحو، وأزلية كالحق الذي تدوّد عنه بمداد الكلمة ودماء الفداء.

نصل في ختام هذا الفصل الثاني إلى يقينٍ منهجي مفاده أنّ خطاب المقاومة لم يكن يوماً مجرد "ظاهرة لسانية" عابرة، بل هو "فعلٌ وجودٍ" استثنائي استطاع أن يطوع اللغة لتكون درعاً وسيفاً في آنٍ واحد. لقد تتبعنا عبر فصول هذا البحث كيف تلاحمت "الآليات الحجاجية" مع "المستويات المضمونية الرمزية" لتشكل في مجموعها ما نسميه بـ "البلاغة المستنهضة"؛ تلك التي لا تكتفي بوصف الواقع، بل تشرع في إعادة خلقه من جديد على أنقاض رواية المحتل الزائفة¹.

¹ عماد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 16.

إنَّ النتائج التي توصلنا إليها في المبحث الأول أكدت أنَّ "الحجاج" في خطاب المقاومة هو "عقل الثورة"؛ فمن خلال النداء الذي يوقظ الذات، وبناء ثنائية الأنا والآخر التي ترسم حدود الصراع، والمزاوجة المبدعة بين منطق العقل وحرارة القلب، نجح الخطاب في تحصين الوعي الجماعي من التفتت. لقد غدا الحجاج هنا "هندسة للدفاع" ومنطلقاً لصناعة هوية جامعة صهرت شتات الأنفس في بوتقة الانتماء، محولةً الكلمة من مجرد بيانٍ إلى "قوةٍ مادية" قادرة على التأثير وتغيير موازين القوى النفسية¹.

وفي المبحث الثاني، تجلّى لنا أنَّ الرمز هو "روح الثورة" وعماد استمرارها؛ فبينما كان الحجاج يخاطب العقول ليرسخ القناعة، كانت الرموز الوطنية والدينية والتاريخية تضرب جذورها في وجدان الأمة لترسخ الخلود. لقد رأينا كيف تحولت الأرض من جغرافيا صامتة إلى "أيقونة مقدسة"، وكيف تلبست القضية ثوب "المقدس الإلهي" الذي يمنح الصمود ديمومةً لا تتطفئ، وصولاً إلى عبقرية "الدلالة الإيحائية" التي جعلت من اللغة "نصاً مفتوحاً" على كل احتمالات النصر، وحارساً أميناً للذاكرة الوطنية الجزائرية من غوائل النسيان والمحو².

إنَّ التضافر العميق بين "بلاغة الإقناع" و"سلطة الرمز" هو الذي منح خطاب المقاومة صفة "الاستعلاء الوجودي"؛ فالمقاوم لم يعد يقاتل منفرداً، بل بات مسنوداً بإرث الأنبياء، وبطولات الأجداد، وقداسة التراب، وسحر اللغة الإيحائية. إنَّ هذا الفصل يخرج بنتيجة كبرى: وهي أنَّ خطاب المقاومة هو الكفيل الوحيد بضمان "البقاء في مواجهة الاندثار"؛ فما دام هناك نصٌّ قادرٌ على النداء، وقادرٌ على التقديس، وقادرٌ على الإيحاء، فإنَّ الهوية الوطنية ستظل قلعةً حصينة تأبى الانكسار، وحقيقةً تاريخيةً عصيةً على التزييف. وبذلك، تعلن الكلمة المقاومة انتصارها النهائي: إذ إنها لا تموت بموت قائلها، بل تعيش في نبض الأجيال، مؤكدةً أنَّ "البيان" هو الجسدُ الخالد الذي لا تطاله يدُ الزوال.

¹ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، المغرب، منشورات دراسات سال، ط2، 2002، ص 22.

² باتريك شارودو، تحليل الخطاب السياسي، ترجمة: عبد القادر فهم شيباني، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص 35.

الفصل الثالث:

آليات التحفيز الأسلوبية في
النصوص المقاومة المقترحة في كتاب
السنة الثالثة من التعليم الثانوي -
[قصيدة ثورة الشرفاء] لمفدي زكريا
أنموذجاً

الفصل الثالث: آليات التحفيز الأسلوبية في النصوص المقاومة المقترحة في كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي - [قصيدة ثورة الشرفاء] لمفدي زكريا أنموذجاً-

شغلت خطابات المقاومة ذهن القائمين على النظام التربوي في الجزائر، فحرصوا على إدراج نصوصٍ شِعْريةٍ تحمل طابع المقاومة في الكتاب المدرسي للمرحلة الثانوية "اللغة العربية وآدابها" للسنة الثالثة من التعليم الثانوي. علماً أنّ المقاربة المعتمدة هي "المقاربة بالكفاءات" التي تهدف إلى تكوين المتعلّم (الفرد) ليصبح متفاعلاً مع المعارف لا خزاناً لها. وفي ظل هذه المقاربة المنتهجة، لم يعد المتعلّم يكتفي بالاستهلاك، بل يتعداه إلى الإبداع والتطوير والتجديد¹.

وهذا ما نلاحظه في نوعية النصوص المنتقاة من قِبل القائمين على وضع كتاب المتعلّم لهذه المرحلة؛ فقد احتوت نصوص المقاومة لغايات تربوية تهدف إلى ترسيخ حب الوطن والدفاع عنه، وأنّ كل غاصبٍ لأرضٍ غيره لظالمٍ ولا ثقة فيه.

لذلك كانت دراستنا لهذه النصوص الشِعْرية بالأخص، والتي تصبّ في هذا الهدف العام، وقد اخترنا النص الأدبي "ثورة الشرفاء" لشاعر الثورة مفدي زكريا للتحليل، باعتباره خطأً بالمقاومة الجزائرية. دفاعاً عن الثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية .

1) الثورة الجزائرية في أشعار الشعراء

جزائر يا حكاية ثورة، لجزائرنا إن الشرق تقدس؛ فالمعاني الثورية التي تجسد الإنسان أياً كان بالإبحار كلها تمركزت في "نوفمبر"، وفي رسم صورة البطولة والفداء التي تتبادر إلى الأذهان كلما حُكي على لسان

¹ وزارة التربية الوطنية، الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي العام

والتكنولوجيا، ماي 2006، ص 2.

ذلك أنها ثورة عملاقة خلقت الإنسان الجزائري خلقاً جديداً¹، وعلمته معنى الحرية وأنّ ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، وهذا ما نلاحظه عند الشعراء الجزائريين في قصائدهم، أمثال: مفدي زكرياء، محمد العيد آل خليفة، ومحمد الشبوكي وغيرهم من الشعراء.

◇ مفدي زكرياء

◆ نشأته

هو زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان بن الحاج بن باحمد²، ولُقّب بـ "مفدي".³ وُلِدَ يوم 12 أفريل سنة 1913م⁴ وتعرعر في واحة بني ميزاب بقرية بني يزقن، أين تلقى اللبّات الأولى من تعليمه، وبعدها شدّ الرحال إلى تونس سنة 1926م⁵ فأخذ ينهل من علوم اللغة والأدب على يد علماء جامع الزيتونة، ولغيره من الشعراء ولُح مفدي بالشعر وكتابته منذ صغره، فاتخذ من الكلمة سلاحاً ومن القصائد رسالة. وحبّه للشعر واتخاذهِ وسيلة للتعبير لم يأت من العدم، فالتنشئة الإسلامية التي عرفها في صغره وتتلّمذه على يد أساتذة متأثرين بالمنهج الإصلاحي تركت أثراً واضحاً في أشعاره، كما أنّ النشاطات الثقافية التي عرفها في "دار البعثة" وإطلاعه على كتب أدبية مهمة سمحت بصقل موهبته، إلى جانب الجو الوطني المشحون الذي شهدته تونس في العشرينيات والذي تميز بطابع المواجهة بين القوى

¹ يُنظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، الجزائر، 1987، ص 08.

² يُنظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث مرجع سابق، ص 08.

³ آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية: 100 شخصية، دار المسك، الجزائر، 2008، ص 07.

⁴ آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية: 100 شخصية، دار المسك، الجزائر، 2008، ص 10.

⁵ يُنظر: مفدي زكرياء نضاله السياسي في الحركة الوطنية (مذكّرة ماستر زوبيدة غزال)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011، ص 15.

الوطنية وسلطات الاستعمار الفرنسي قد أثّر على الحياة الأدبية لشاعرنا مما جعله شديد الارتباط بالنشاط السياسي الوطني¹، فأصبح ثائراً من الثوار الذين واجهوا الغاصب الفرنسي وكان صوت الثورة المسموع. نضاله السياسي من خلال أشعاره: شغلت قضية الاحتلال ذهن مفدي زكرياء منذ شبابه وانعكس ذلك على أشعاره التي عبّر من خلالها عن شوقه لوطنه وحسرتة على أرضه التي يدنّسها العدو، فأشهر شعره في وجه عدوه دفاعاً عن الوطن الحبيب.

ونضاله السياسي بدأ مع وطنه الصغير "ميزاب" حيث نظم العديد من القصائد في الشوق والحنين إلى ميزاب²، ولعلّ أشهرها: قصيدة "ليلى ومجنونها" التي يقول فيها³: الحبُّ أرّقني واليأسُ أضناني ... والبيئُ ضاعفَ آلامي وأحزاني والروحُ في حَيّةٍ ليلي قد استحال إلى ... دمعٍ، فأمطرهُ شعري ووجداني

وغداة الثورة التحريرية تفرّغ لنظم العديد من الأناشيد الوطنية كـ "النشيد الوطني الجزائري"، "نشيد الإطلاقة الأولى"، "فداء الجزائر"، "نشيد العلم الجزائري"، "نشيد الشهداء"، "نشيد جيش التحرير الوطني"، و"نشيد بربروس"⁴ وغيرها من الأناشيد التي لا زالت تُرثَل في المحافل الوطنية .

وله أعمال أخرى تصبّ كلها في مفهوم الحرية والفداء جُمعت في دواوين شعرية منها: "اللهب المقدس"، "تحت ظلال الزيتون"، وهنّ وفي الأطلس⁵

بينما عمله الخالد الذي يذكر كلما ذُكر اسم مفدي زكرياء هو "إلياذة الجزائر"⁶ التي يقول في مطلعها⁷:

¹ يُنظر: المرجع السابق، ص 17.

² يُنظر: مفدي زكرياء نضاله السياسي في الحركة الوطنية (مذكرة ماستر زوبيدة غزال) المرجع السابق، ص 30.

³ أمجادنا تتكلم، مفدي زكرياء، مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2002م، ص 51.

⁴ يُنظر: المرجع السابق، ص 04.

⁵ المرجع السابق، ص 03.

⁶ إلياذة الجزائر طُبعت سنة 1972م تحوي ألف بيت وبيت

⁷ إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص 19.

جزائر يا مطلع المعجزات ... ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمه الرب في أرضه ... ويا وجهه الضاحك القسمات
ويا لوحة في سجل الخلود ... تموج بها أنفس الخالدات
تسليطنا الضوء على حياة مفدي زكرياء لم يكن عبثاً، بل لتبيين أن النصوص المنتقاة في الكتاب
المدرسي كانت مدروسة؛ فاختير مفدي زكرياء باعتباره شاعر الثورة المظفرة، وحتى يتبين للمتعلّم أن النضال
ينشأ مع الإنسان منذ الطفولة، فقد قدّم شاعرنا كل معاني النضال والصمود والمواجهة، وأن الأرض ملك
لأصحابها مهما طال الزمن.
لذلك نجد من الأهداف المرجو تحقيقها خلال الوحدة التي يقدم فيها نص "ثورة الشرفاء" هو: أن
يتعرف المتعلّم على قيم الثورة الجزائرية وكيف تمثلها الشعراء في قصائدهم¹، معبراً عما يمثله لوطنهم
الجزائر.

◆ تحليل نص "ثورة الشرفاء"

مَدَدْنَا خُيُوطَ الْفَجْرِ .. قُمْ نَصْنَعِ الْفَجْرَا
وَصُغْنَا كِتَابَ الْبُعْثِ .. قُمْ نَنْشُرِ السُّفْرَا
وَسُقْنَا سَفِينَ (الْوَعْدِ) حُمْرًا شِرَاعُهَا
يُوجِّهُهَا لِلنَّصْرِ، مَنْ (وَعَدَ) النَّصْرَا
وَرِثْنَا عَصَا مُوسَى، فَجَدَّدَ صُنْعُهَا
حِجَانًا، فَرَاخَتْ تَلَقُّفُ النَّارِ، لَا السِّحْرَا
وَكَلَّمَ مُوسَى اللَّهَ فِي (الطُّورِ) خُفْيَةً
وَفِي (الْأَطْلَسِ الْجَبَّارِ) كَلَّمْنَا جَهْرًا
تَبَارَكْتَ شَهْرًا، بِالْخَوَارِقِ طَافِحًا

¹ يُنظر: اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، المرجع السابق، ص 118.

وَسُبْحَانَ، مَنْ بِالشَّعْبِ، فِي لَيْلِهِ أَسْرَى
فَكَمْ كُنْتُ، يَا رَحْمَنُ
فِي الشَّكِّ غَارِقًا فَاْمَنْتُ بِال...
وَلَبَّاكَ شَعْبٌ، كَادَ يَفْقِدُ ظَنَّهُ
(يُوعِدُكَ) لَوْلَا أَنَّهُ، يَحْفَظُ الذِّكْرَى
وَأَشْرَبَتْهُ حُبُّ الشَّهَادَةِ، فَارْتَمَى
عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، تُلْهِبُهُ الذِّكْرَى
وَفِي سَاحَةِ التَّخْرِيرِ، سُوقٌ، قِوَامُهَا
ضَمَائِرُ قَوْمٍ، لَا تَبَاعُ، وَلَا تُشْرَى!!
عَبَرْنَا عَلَى (السَّبْعِ الشَّدَادِ) نَشَقُّهَا
وَلَمْ تُثْنِنَا الْأَرْزَاءُ، أَنْ نَعْبِرَ (العَشْرًا)
وَنَقْرُضَ فِي الدُّنْيَا، احْتِرَامَ وُجُودِنَا
وَنَنْشُرَ فِي أَخْلَافِهَا الرُّعْبَ وَالْذُّعْرَا
وَنَحْنُ بَنُو الْأَشْرَافِ، عُرْبٌ، طِبَاعُنَا
مُقَدَّسَةٌ، لَا نُضْمِرُ الْغِشَّ وَالْعَدْرَا..
فَلَا عِزَّ، حَتَّى تَسْتَقِلَّ جَزَائِرُ
وَلَا مَجْدَ، حَتَّى نَصْنَعَ الْوَحْدَةَ الْكُبْرَى¹.

مفدي زكرياء علم من أعلام الجزائر وُلِدَ من رحم الثورة العظيمة، وكان أصدق في التعبير عن معانيها
وخير دليل على ذلك ما جاء في قصيدته "ثورة الشرفاء" التي نظمها في الذكرى السابعة للفتح نوفمبر

¹ زكرياء، مفدي. (د.ت). ديوان اللهب المقدس (مدرج ضمن: كتاب اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة

ثانوي - شعب علمية وتقنية). الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ص ص. 80-81.

1961م، وقد جاءت في "اللهب المقدس" بعنوان "خلاج حقّ تستقل جزائر"¹، والقصيدة عمودية رويّها التاء، تكونت من ثلاثة عشر بيتاً متصرفاً فيه.

◆ التحليل الأسلوبي لعنوان القصيدة:

(أ) المستوى الدلالي والإيحائي:

العنوان عتبة النص الأولى، لذا توجب علينا التوقف عند إحياءاته لتبين الدلالات التي يحملها.

❖ العنوان: ثورة الشرفاء

■ الإحياءات:

- الأصالة.
- الشموخ والإباء.
- المواجهة والتصدي.
- الأصل العربي للشعب الجزائري.
- الكفاح.

(ب) المستوى التركيبي:

ثورة الشرفاء

- ثورة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.
- الشرفاء: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

¹ يُنظر: مفدي زكرياء، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، ص 255.

نسب مفدي الثورة إلى شرفاء الجزائر ليزيد من هيبة الثورة المعجزة.

(ج) المستوى البلاغي:

لم يأت العنوان هكذا اعتباطاً، بل أراد الشاعر تبيان عظمة الثورة الجزائرية؛ فجاء عنوان القصيدة في شاكلة صورة بيانية تكونت من:

مشبه + مشبه به

الثورة + الشرفاء

■ الشرح: حيث شبه الشاعر الثورة بالشرفاء، وحذف الأداة ووجه الشبه ليصبح التشبيه تشبيهاً بليغاً.

والهدف من هذا هو إبراز عظمة الثورة وتبيان نُبل أهدافها.

◆ التحليل الأسلوبي للقصيدة:

(أ) المستوى الدلالي والإيحائي:

ركّز مفدي زكرياء على الحقل الدلالي الديني ليبرز قدوسية الثورة الجزائرية وتشبع شعبها بمعالم الدين الجزائري وعلى رأسهم هو الذي غُذّي على الثقافة الإسلامية منذ الصغر. وحقل آخر هو حقل الثورة ليعث روح الحماس في الثوار ويخلّد ما تُرجم في سبع سنين الكبرى التي مَضَتْ.

■ الحقل الديني: عصا موسى، الله، الطور، أسرى، يا رحمن، آمنْتُ.

■ الحقل الثورة: الخوارق، الأطلس، الجبار، شهراً، السبع الشداد، الوحدة.

النص رسالة حمل الشاعر ألفاظها العديد من الإيحاءات لتخرج من اللغة البسيطة إلى اللغة الإيحائية

المعبّرة، فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

■ الفجر: توحى بالحرية والاستقلال.

- النار: توحى بالقتال والمواجهة.
- السبع الشداد: توحى بالصبر والنضال.
- الرعب: توحى بفرض الهيبة والاحترام.
- حمراً شرعها: توحى بالدم والتضحية.

(ب) المستوى التركيبي:

أبيات رائية مفدي حَوّت أفعال أمر لبعث الهمة والعزيمة في الثوار بصفة خاصة وفق الشعب الجزائري بصفة عامة، وهذا لمواصلة النضال حتى يتحقق النصر لقوله: "قم تنشّز السفر"¹. كما نجد أنّ الشاعر انزاح في البيت التاسع عن التركيب العادي في الجملة الاسمية فراح يقدّم الخبر عن المبتدأ في قوله: "في ساحة التحرير سوق" للدلالة على قدوسية ساحة التحرير عند الشعب الجزائري باعتبارها مكاناً شاهداً على نضال الشعب الجزائري طيلة سبع سنوات. كما نلاحظ توظيف ضمير المتكلمين "نا": "هددنا، ورثنا، سقنا" للدلالة على أنّ روح الالتحام والاتحاد هي من صنعت فارق الثورة المعجزة. وبما أنّه في باب السرد فقد راح يذكّر ببطولات الشعب الجزائري: "لبّاك شعب"، "ضمائر قوم لا تباع ولا تُشترى"، "فارتى عارماً في الموت"، "في الأطلس الجبار"، و"عبرنا السبع الشداد" التي لا زالت خالدة وتُدرّس إلى الأجيال إلى اليوم.

(ج) المستوى البلاغي:

كغيره من الشعراء، مفدي زكرياء لَوّن قصيدته بالعديد من الصور البيانية التي أخرجت القصيدة في أبهى حلّة وزادت معاني القصيدة جمالية، فنجد:

¹ السّفَر: هو الكتاب، والمقصود هنا بيان أول نوفمبر.

❖ الكناية:

- "سقنا سفين الوعد" : كناية عن الثورة الدامية.
- "ورثنا عصا موسى" : كناية عن الإرادة في التغيير.
- "عبرنا السبع الشداد" : كناية عن التحدي والصمود.

❖ الاستعارة:

- نصنع الفجرا"، "تتشز السفرا" أثرها تجسيد المعنى وتوضيحه.

❖ المجاز: حتى تستقل جزائر "مجاز مرسل، يقصد أهل الجزائر، فهم هنا سيستقلون من العدو الفرنسي بعد قرن ونصف من المحرمات والاضطهاد.

أما المحسنات البديعية فنجدها ماثلة بين ثنايا الأبيات باعتبار مفدي زكرياء خريج مدرسة "الصنعة

اللفظية":¹

❖ التصريع: في البيت الأول (الفجرا - السفرا).

❖ الجناس: في البيت الثاني (الوعد - وعد).

❖ الطباق:

▪ في البيت الرابع (خفية / جهراً).

▪ في البيت التاسع (تباع / تشرى).

❖ أثرها: تقوية المعنى وتوضيحه وإعطاء جمالية لأبيات القصيدة.

¹ الصنعة اللفظية: مدرسة ظهرت في العصر العباسي مع أبي تمام، تهتم بالمحسنات المعنوية

واللفظية وكيفية توظيفها لزيادة المعنى وجمالية المبنى

(2) آليات التأثير والإقناع في قصيدة "ثورة الشرفاء":

كغيرها من القصائد، تحمل ثورة الشرفاء معنى عام يتضح من خلال القراءة الأولى، ومعانٍ خفية تتبين للقارئ من خلال التحليل.

◇ النداء والتحريض:

حاول الشاعر ربط الثورة الجزائرية بأبعاد روحية، وذلك من خلال تقديس الثورة؛ حيث وظّف النداء في البيت السادس¹ ليبين أنّ الثورة رعاها الله تعالى، وهو ينادي الله باسم من الأسماء الحُسنى تضرعاً وتوسلاً له بعدما كان قد عقد اليقين بأنّ الثورة ستنتفضي بسبب جيوش العدو والغاصب. أما التحريض فنلجحه في توظيف الأساليب الإنشائية بصيغة الأمر. والنهي لقوله:

- "قم تنشّز السفرا": أمرٌ، غرضه بثّ العزيمة وروح النضال.
- "لا تُباع ولا تُشْرِى": نهْيٌ، غرضه تبيان معدن الشعب الجزائري.
- "يا رحمن": نداءٌ، غرضه التضرع والمناجاة.

والهدف من التحريض هاهنا هو الدعوة إلى الثورة والتذكير بذلك، أنّ اللون الشعري الذي تنتمي له القصيدة هو الشعر الثوري الوطني.

◇ بناء الأنا والآخر:

في محراب المقاومة الباذخ يذوب ضمير المتكلم المفرد الخائف لينصهر في ضمير المتكلم للجمع "نحن" "هددنا، ورثنا، سقنا"، فهي لا تمثل مجرد حشد عددي أو تراكم بشري، بل هي خزان قيمي تاريخي؛

¹ يُنظر: الملحق 1

فالشاعر معتزّ بكونه جزائري ساهم بقلمه وشعره في الثورة، فأصبح جندي يحارب رفقة من حملوا السلاح على قمم الجبال.

أمّا صورة الآخر تكاد لا نلاحظها كون أنّ القصيدة نُظمت في العام السابع لاندلاع الثورة، فنار المستعمر انطفأت وكادت تخدم، لذلك لم يُعرِ الشاعر للآخر أيّ قيمة في قصيدته غير أنّه راح يتوعده بالاستقلال والوحدة في آخر القصيدة.

◇ الحجب العقلية والعاطفية:

◆ الحجب العقلية:

ساق شاعرنا العديد من الحجب العقلية كربطه بين الثورة ذات الطابع السياسي بـ "عصا موسى" ذات الطابع الديني ليبينّ قدسية الثورة، وأنّ محاربة الأعداء لا هيد منها في تعاليم الدين الإسلامي، كما بينّ الشاعر في البيت الثالث عشر أنّ العزة لا تُرام إلا إذا¹ استنقَلت الجزائر وتحرّر شعبها من قيود الأعداء، وأنّ المجد لا يتحقّق إلا إذا توحدنا لنقهر المستعمر، الذي طلقها عنوة دون عُدّة.

◆ الحجب العاطفية:

إذ كان العقل يقتنع بالبرهان فإنّ النفس لا تترك إلا بالوجدان؛ لذلك حرص مفدي على إضفاء طابع ديني حيث شبّه ليلة فاتح نوفمبر بليلة الإسراء لقيمتها ومكانتها. الحديث عن حب الوطن: "لبّاك شعب"، "ارتمى في غمرات الموت" صدق التجربة الشعورية الذي أدّى إلى صدق التجربة الشعرية وإيصال عمق العام "هو حب الوطن وتخليد بطولات أبنائه". النزعة الوطنية ساهمت في إيصال صدق مشاعره فهو عاش اضطهاد المستعمر حيث سُجن العديد من المرات وهو في باب الكفاح رفقة الثوار فكان الشاهد والناقل في الوقت نفسه.

¹ يُنظر: الفصل الثاني، ص 27.

◇ الرموز والدلالات المحفزة

أشرنا سابقاً إلى أنّ الشاعر خرج من اللغة البسيطة إلى اللغة الموحية وذلك بتوظيف الصورة الرامية .
الجدول رقم 1 يوضح طبيعة الرموز الموظفة ودلالاتها الإيحائية في قصيدة "ثورة الشرفاء".

الرموز	نوعها	دالاتها
الفجرا	رمز طبيعي	الحرية والاستقلال
عصا موسى	رمز ديني	المعجزات
الأطلس الجبار	رمز طبيعي	التحدي والشموخ
النار	رمز طبيعي	القتال والمواجهة

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على تحليل معطيات القصيدة، ص 10.

بعد التحليل الذي سلطنا فيه الضوء على قصيدة "ثورة الشرفاء" لمفدي زكرياء، استنتجنا بعض النقاط

أهمها:

- القائمين على النظام التربوي الجزائري حريصين كل الحرص على غرس حب الوطن وأن الحرية تؤخذ ولا تُعطى.
- المقاربة المعتمدة في النظام التربوي هي المقاربة بالكفاءات تهدف إلى جعل المتعلم متفاعلاً مع المعارف فيصبح قادراً على إبداء رأيه في القضايا الوطنية والعربية كالقضية الفلسطينية.

- مجّد الشاعر الثورة الجزائرية فراح يذكر ببطولات الشعب الجزائري وهو يتحدث عن الثورة المظفرة.
- خرج مفدي من اللغة البسيطة إلى اللغة الموحية ليعبر عما حبه لوطنه وأن أرض الجزائر لا تُباع ولا تُشترى.
- قدّم الشاعر حجج دامغة ليبين أن الشعب الجزائري ضحى بالغالي والنفيس لأجل وطنه كقوله:
"فارتمي عارماً غمرات الموت، ولم تخذلنا الأرزاء أن نعبر العشرا."
- النص الأدبي "ثورة الشرفاء" حافل برموز زادته معنى وجمالية كالرموز الطبيعية والدينية.
- التزام مفدي بالدفاع منا ولنه علم لم يأتي العدم بل أُشرب حبا حبة الوطن والدفاع عنه منذ الصغر كون تتلمذ على يد أساتذة حب الوطن يسري في عروقهم.
- اللفظة كالرصاصة تصيب هدفها لذلك اختار مفدي ألفاظه بدقة ليعبر عن المعاني المرجو إيصالها للقارئ.
- التجربة الشعرية لها دور بارز عند الشاعر لذلك استطاع مفدي أن يعبر بكل صدق عما عاشه إبان الاستعمار.

الخاتمة

الخاتمة

لقد شكّل خطاب المقاومة عبر التاريخ سياقاً هوياتياً وحصناً منيعاً لرفض محاولات المحو والتبعية، ولم يكن النص الأدبي الثوري مجرد مرآة عاكسة للأحداث، بل كان فاعلاً ومحركاً وموجهاً للوعي الجماعي. وجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ آليات التحفيز في خطاب المقاومة لتفكك هذه البنية الإجرائية في شقيها النظري والتطبيقي، بالاعتماد على أدوات الأسلوبية وتحليل الخطاب، مسقطاً طروحاتها على نص ثورة الشرفاء لشاعر الثورة مفدي زكرياء.

وبعد طول طواف في فصول هذه المذكرة ومباحثها، خلص البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية، نُجملها في النقاط الآتية:

تلاحم النظرية والتطبيق: أثبتت الدراسة أن أدوات "الأسلوبية" لا تعيش في معزل عن سياقها؛ فالانتقال من دراسة المستويات الصوتية والمعجمية والتركيبية البنيوية إلى فضاء "تحليل الخطاب" أتاح فهماً أعمق لكيفية تحول الأسلوب إلى طاقة حجاجية وتحفيزية تؤثر في المتلقي وتدفعه نحو الفعل المادي (المقاومة). شعرية الاستقطاب وبناء الهوية: كشف التحليل التطبيقي لنص "ثورة الشرفاء" عن هندسة استقطابية حادة أيقن مفدي زكرياء بناءها؛ حيث قام برسم معالم "الأنا" الثائرة وربطها بالحق والطهر والسيادة الدائمة، في مقابل تعرية "الآخر" المستعمر وسلبه أي مشروعية أخلاقية، مما جعل فعل الثورة واجباً قدسياً لا خياراً ثانوياً.

الرمز كأداة للتحيين والبعث: تبين من خلال رصد الرموز (الوطنية، الدينية، والتاريخية) أن خطاب المقاومة نجح في محاربة "الاندثار والقطيعة" التي حاول المستعمر فرضها، فغدا الرمز جسراً أنطولوجياً يربط كينونة الماضي وأماجد الأجداد بصيرورة الحاضر الثوري، ليتحول التاريخ من أرشيف صامت إلى قوة تعبوية حية.

ديناميكية الآليات الحجاجية: لم يكتفِ الخطاب المدرّس بالإثارة العاطفية والوجدانية فحسب، بل اتكأ على بنيان حجاجي عقلي يستند إلى منطق الميدان وإنجازات نوفمبر، مستخدماً استراتيجيات النداء والتحريض لكسر رتابة الإخبار وتحويل الكلمة الشعرية إلى رصاصة دبلوماسية تقوض دعاوى المستعمر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الرسمية والتاريخية

- الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة خطية ودبلوماسية وجهت إلى الجنرال الفرنسي بيجو، الأرشيف التاريخي للمقاومة الوطنية.
- جبهة التحرير الوطني الجزائرية، بيان أول نوفمبر 1954، الوثيقة التاريخية الرسمية لإعلان الثورة.
- وزارة التربية الوطنية الجزائرية، الوثيقة المرافقة لمنهاج وكتاب اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، الجزائر، ماي 2006م.

ثانياً: الكتب باللغة العربية

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة (ومطبعة المدني، القاهرة).
- حرب، علي، نقد النص، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993.
- خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- زكرياء، مفدي، إلياذة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م.
- زكرياء، مفدي، أمجادنا تتكلم، تحقيق: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، الجزائر، مؤسسة مفدي، 2002م.
- زكرياء، مفدي، ديوان لهاب الجزائر (اللهب المقدس)، الجزائر، موفم للنشر / مطبوعات وزارة المجاهدين.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (بأجزائه المختلفة)، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ج9، 1998.
- شرف الدين، أحمد، الآليات التداولية والحجاجية في الخطاب السياسي والمقاوم، دار الفكر العربي، القاهرة.
- شومان، محمد، تحليل الخطاب الإعلامي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007.

- طاهر، وطار، *اللاز (رواية وثائقية وسردية)*، الدار الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عبد اللطيف، عماد، *تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة*، بيروت، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
- عبد المطلب، محمد، *بلاغة الخطاب والعمارة الأسلوبية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- العسلي، بسام، *المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي*، دار النفائس، بيروت.
- العزاوي، أبو بكر، *اللغة والحجاج*، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2006.
- عمر، أحمد مختار، *علم الدلالة*، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
- العمري، محمد، *في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية*، المغرب، منشورات دراسات سال، ط2، 2002.
- عياشي، منذر، *الأسلوبية وتحليل الخطاب*، مركز الإنماء الحضاري، حلب.
- الغدامي، عبد الله، *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005.
- فضل، صلاح، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (سلسلة عالم المعرفة)، ع 164، 1992.
- فضل، صلاح، *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته*، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998.
- كنفاني، غسان، *رجال في الشمس / عائد إلى حيفا*، دار العودة، بيروت.
- المسدي، عبد السلام، *الأسلوبية والأسلوب*، الدار العربية للكتاب، تونس.
- الملي، محمد، *الجزائر في مرآة التاريخ*، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ناصر، محمد، *مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة / المقاومة بالكلمة*، الجزائر/بيروت، جمعية التراث / دار الغرب الإسلامي، 1987م.
- بن هدوقة، عبد الحميد، *ريح الجنوب*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- هيربجي، إدريس الشريف، *اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي*، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2017م.
- ونوس، سعد الله، *حفلة سمر من أجل خمسة حزيران*، دار الآداب، بيروت.
- يحيى بوعزيز، *ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20*، دار الهدى، الجزائر، 2005.

ثالثاً: الكتب المترجمة

- بالي، شارل، *أسلوبية اللغة الفرنسية*.

- ريكور، بول، *الذاكرة، التاريخ، النسيان*، ترجمة: وجيه أسعد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- سبيتزر، ليو وكوهن، جان، *نظريات العدول والانزياح في الأسلوبية الحديثة*.
- سعيد، إدوارد، *الثقافة والإمبريالية*، ترجمة: كمال أبو ديب Block ، بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4، 1997.
- شارودو، باتريك، *تحليل الخطاب السياسي*، ترجمة: عبد القادر فهم شيباني، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.
- فانون، فرانتز، *معذبو الأرض / سوسيولوجية ثورة (A Dying Colonialism)* ، تعريب: ذوقان قرقوط / سامي الدروبي، دار الطليعة / دار القلم، بيروت.

رابعاً: المقالات والدوريات

- أبو زهير، فريد عبد الفتاح (وآخرون)، "الأساليب الإقناعية وتقنيات الدعاية في خطابات الناطق الرسمي لكتائب القسام"، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 5، اليمن، 2024.

خامساً: المذكرات الأكاديمية (الرسائل الجامعية)

- غزال، زوبيدة، *مفدي زكرياء نضاله السياسي في الحركة الوطنية*، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث، جامعة محمد خيضر (بسكرة) / جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2021 / 2022م.

سادساً: معاجم التراجم والموسوعات

- تميم، آسيا، *الشخصيات الجزائرية: 100 شخصية*، الجزائر، دار المسك، 2008م.

الملاحق

- ملحق رقم : (1) الشواهد النصية لرسائل الأمير عبد القادر وبيان أول نوفمبر .

الوضعية التعليمية رقم 05		
المستوى : 3 الشعب العلمية المشتركة	المحور : الخامس	النشاط : نصوص أدبية
الموضوع : ثورة الشرفاء - مفدي زكريا		
الكفاءة المستهدفة : * في مقام تواصل دال ينتج المتعلم كتابة مقالا وفق النمط التفسيري عن الشعر الملتزم وقضايا التحرر.		
الأهداف التعليمية : * أن يتعرف المتعلم على الشعر السياسي التحرري وخصائصه وأشهر رواده. أن يقف على مفهوم الالتزام في الشعر ومؤثراته. * أن يتعرف على مدرسة الصنعة اللغوية وخصائصه. * أن يحدد مؤثرات النمط الوصفي. * أن يدرك دور الروابط في بناء النص. * أن يتدرب على شرح المجاز العقلي وبيان سر بلاغته.		
الملاحظات	أنشطة المتعلمين	أنشطة المعلمين
من هو أشهر شاعر جزائري تغنى بالثورة الجزائرية ؟ بم لقب ؟ من هو الشاعر " مفدي زكريا " ؟ أين ولد ؟ ومتى ؟ أين تلقى العلوم ؟ قيم تجسّد نشاطه السياسي و الأدبي ؟ ماذا كلفته وطنيته ؟ متى توفي ؟ ما هي أشهر مؤلفاته ؟	هو مفدي زكريا، ولقب بشاعر الثورة الجزائرية. التعريف بالشاعر : هو شاعر الثورة الجزائرية، ولد مفدي زكريا ببني بركان (غرداية) عام 1913م. تلقى مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ثم التحق بتونس ليدرس بالمدرسة الخلدونية ثم بجامعة الزيتونة. بعدها عاد إلى الوطن ليناضل بقلمه في سبيل الوطن منا كلّفه السجن خمس مرّات فرّ في آخرها سنة 1959 ليلتحق بصوف جبهة التحرير الوطني بالخارج. توفى سنة 1977 م من أشهر مؤلفاته : " الشعب المقدس " ، " البلاء الجزائري " .	1. يسلّم من يتحدّث للشاعر ؟ وما مضمون الخطاب ؟ 2. لقد حاول الشاعر ربط تاريخ الثورة الجزائرية بإبعاد دينيّة في ثلاثة مواضع: التذكير بمعجزة عصا موسى التي تحوّلت إلى حية فالتهمت سحر السحرة، وحادثة تكليم الله لسليمان عليه السلام في جبل الطور، ومعجزة الإسراء والمعراج؛ فلماذا العصا المعجزة فقد ورثها الشعب الأبى لتستحيل في يديه بندقيّة يسدها نحو العدو الغاشم، ولماذا معجزة التكليم فقد حدثت يوم أوحى الله إلى الشعب الجزائري المبارك بإضرام نار الثورة، وكان ذلك في ليلة الفتح من نوفمبر التي تضاهي ليلة الإسراء والمعراج في إعجازها وقداستها. 3. تعذّبت مصادر الوحي لدى الشاعر من تاريخيّة ودينيّة وأدبيّة. وضّحها مع التمثيل. 4. ضاع هيكله فكري للّنص.
1. يتحدث الشاعر بلسان الشعب الجزائري المغوار المناضل في سبيل الحرية والكرامة والوئادة الوطنية. 2. يتجلى ربط تاريخ الثورة الجزائرية بإبعاد دينيّة في ثلاثة مواضع: التذكير بمعجزة عصا موسى التي تحوّلت إلى حية فالتهمت سحر السحرة، وحادثة تكليم الله لسليمان عليه السلام في جبل الطور، ومعجزة الإسراء والمعراج؛ فلماذا العصا المعجزة فقد ورثها الشعب الأبى لتستحيل في يديه بندقيّة يسدها نحو العدو الغاشم، ولماذا معجزة التكليم فقد حدثت يوم أوحى الله إلى الشعب الجزائري المبارك بإضرام نار الثورة، وكان ذلك في ليلة الفتح من نوفمبر التي تضاهي ليلة الإسراء والمعراج في إعجازها وقداستها. 3. تعذّبت مصادر الشاعر من تاريخيّة تتمثل في التاريخ للثورة الجزائرية المعظرة: " تباركت شهرا بالخوارق طافعا... عبرنا على السبع الشداد... "، ودينيّة تتجسّد في الاقتباس من القرآن الكريم: " كلم موسى الله في الطور... "، وأدبيّة تتجلى في تضمينه لببيت الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته: بالآ نورد الزايات بيضا * ونصدهنّ خمرا قد رويّا يبدو ذلك في قوله: " وسقا سفين الوعد حمرا غراعا... ". 4. وضع هيكله فكري للّنص: الفكرة العنق: تخش بالثورة الجزائرية المعظرة وتمجيد للثوار. الأفكار الرئيسية: 1. (من 01 إلى 06): تقييد لمعجزة للثورة التحريرية المباركة. 2. (من 07 إلى 12): تعظيم لبطولات وتضحيات الثوار. 3. (البيت 13): الاستقلال والوحدة سبيلا للنهضة والمجد.		

❖ يغلب على النص النمط الوصفي لأنه الأنسب لتصوير الملاحم البطولية والمعجزات الخارقة للثوار، والفخر بإنجازاتهم. - مؤثراته مع الشئيل: 1. ذكر الموصوف (الثورة والثوار). 2. شيوخ الأفعال الوصفية: "مدننا، سقنا، نصنع، يوجهها، ننشر، نفرض..." 3. الاستعانة بالوسائل اللغوية الوصفية: كالنموت "الأملس الجبار"، والأحوال "حمرا"، والإضافات "خيوط الفجر، كتاب البعث..." 4. توظيف الصور البيانية: كالتشبيه "ساحة التحرير سوق"، والاستعارة المكنية "أثرينه حب الشهادة"، والكنية "شبرا" كناية عن شهر (نوفمبر). 5. مؤثرات المكان: "الطور، الأملس، ساحة التحرير، جزائر..."	❖ اكشف عن النمط التعبيري الغالب على النص، علل ومثل لمؤثراته.	تقديم بناء النص:
❖ من الروابط التي لحم بها الشاعر أجزاء نصه: 1. روابط الجز: "في، الياء، على، حتى" 2. روابط العطف: "و، الفاء، لا (النار لا السحر)..." 3. روابط التلوي: "لا النافية، لم، لا النافية للجنس..." 4. رابط التوكيد: "أين..." 5. رابط الشرط: "لو لا..." ❖ دورها في بناء النص: - ربط اللوحي بالوحي. - الحفاظ على تلاحم أجزاء النص مما يحقق له نصيته وأصالته واتساقه واتساجمه.	❖ لحم الشاعر أجزاء نصه بجملة من الروابط استخرجها وصنفها حسب أنواعها، وبيّن دورها في بناء النص.	تحقق الاتساق والانسجام في النص:
❖ لقد عز الشاعر عن المعاني الأصلية الجلييلة للثورة الجزائرية المباركة بأساليب غنية جميلة، وخيال خلاق وثاب يقلل سورا نابضة بالحياة لكفاح الشعب الجزائري ومعجزاته من خلال الصور البيانية المتألقة المجسدة للمعاني المجردة في صور محسوسة بادية للعين قريبة من الأذهان، من ذلك التشبيه: "في ساحة التحرير سوق..."، والاستعارة المكنية "نصنع الفجر"، أثرينه حب الشهادة...، والمجاز العقلي: "نستقل جزائر..."، والكنية عن نوفمبر: "شبرا..."، أنا من جهة الموسيقى فقد أكثر الشاعر من الحروف المفتحة (طاء، صا، ضا) والحروف الانجارية (الذال) للتعبير عن روح الثورة المعتملة في نفسه. ❖ وزاوج مفدي زكريا بين مظاهر التقليد في القصيدة الكلاسيكية: 1. جزالة الأسلوب وجودة الصياغة: "سقنا سقن الوعد حمرا شراعها..." 2. الميل إلى توظيف القلموس اللغوي القديم: "المنفر، حجابنا، الأرزاء..." 3. التزام التصريح في البيت الأول: (الفجرا- المنفرا). 4. الاقتباس من القرآن الكريم: "كلم موسى الله في الطور..." 5. التقيد بنظم الشعرين: 6. مدننا خيوط الفجر... قم نصنع الفجرا... وصنفا كتاب البعث... قم ننشر المنفرا توحيد القافية: "... المنفرا... النصرا... المنفرا... جهرنا..." ... وبين مظاهر التجديد في القصيدة المعاصرة: 1. الخوض في غرض شعري حديث هو الشعر السياسي التحرري. 2. الالتزام في الشعر بالقضايا الوطنية والقومية: إذ التزم بقضية وطنية. 3. الاعتماد على الإيحاء اللفظي: لعبارة "السبع الشداد" مثلا - توحى بضراوة وهول سنوات الثورة التحريرية. 4. توظيف الصورة الرامزة: "الفجر" رمز للحرية والاستقلال، "عسا موسى" رمز للمعجزات، "الأملس الجبار" رمز للثورة والتحدي.	❖ زاوج الشاعر بين جلال المعنى وجمال المبني، وبين القصيدة الكلاسيكية والقصيدة المعاصرة. وصنع ذلك دافعا إيجابيا بالتعليل أو التمثيل.	إجمال القول في تقديم النص:

1. **ضمن أي عرض شعري يندرج النص؟ عرّفه**
واذكر خصائصه وأشهر رواده الجزائريين والعرب.
2. **يبدو الشاعر ملتزماً في نصه فما مفهوم الالتزام؟ وما مؤشرات في النص؟**
3. **يعكس النص جملة من نزعات الشاعر، منها النزعة الثورية والوطنية والقومية. مثل لكل نزعة شاهد من النص.**
4. **إلى أية مدرسة أدبية ينتمي مفدي زكريا؟ عرّفها، واذكر خصائصها مع التمثيل.**
5. **ما نوع الأسلوب الغالب على النص؟ وما أغراضه البلاغية؟**
6. **حدّد المجاز الوارد في صدر البيت الثالث عشر، اشرحه مبيناً نوعه وسرّ بلاغته.**
1. **يندرج النص ضمن عرض الشعر النيسابى الحرّ.**
- **خصائصه:**
1. الطابع الإنساني: لأنه يعكس تطلعات وأمالاً يشترك فيها كل الناس.
2. الطابع الوجداني: لأنه يخاطب القلوب قبل العقول.
3. الطابع التاريخي: إذ يُورّخ لأهم الأحداث التاريخية فهو مادة توثيقية لأهم الأحداث في التاريخ.
- **أشهر رواده: من الجزائر:** مفدي زكريا، محمد الصالح باوية، أبو القاسم خنّار، محمد العيد آل خليفة.
ومن العرب: محمود درويش، نزار قبّاني، فتوى طوقان، شفيق الكفّالي.
2. **تعريف الالتزام:** هو أن يسخر الأديب قلمه لمعالجة قضايا مجتمعه أو أمته بحثاً عن الحلول الناجمة وسعيًا إلى ترقية الحياة والإنسان.
- **مظاهر الالتزام في النص:**
1. معالجة قضية وطنية تتمثل في القضية الجزائرية.
2. اقتراح الحل: ويتجلى في الكفاح المسلح والوحدة الكبرى.
3. توظيف ضمير المتكلمين (نحن) للتعبير عن التزامه وشعوره بمسؤوليته نحو وطنه.
3. **النزعة الثورية:** "سقيا سفين الودع حمرا شرابها... وفي ساحة التحرير سوق قوامها ضمائر قوم لا تباع ولا تُشترى...".
- **النزعة الوطنية:** "فلا عزّ حتى تستقلّ جزائر...".
- **النزعة القومية:** "وتحنّ بنو الأشراف عرب طبايعا...".
4. ينتمي مفدي زكريا إلى مدرسة **الصنعة الشعرية**.
- **تعبيراتها:** هي مدرسة أدبية أسسها الشاعر العباسي أبو تالم، تُعنى بتنميق اللفظ وتجويد العبارة وحشد صنوف البيان والبديع.
- **خصائصها:**
1. الاهتمام بالإنقاء اللفظي القوي المؤثرة الزئبانية ذات النغمة الموسيقية العذبة: "الفجر، السفر، النصر، الشجر، النار، الخوارق".
2. الاستعانة بالمعجم اللغوي القديم: "السفر، حجانا، الأرزاء...".
3. التآثر بالثقافة الإسلامية: "كلم موسى الله في الطور...".
4. الميل إلى التكرار: "الفجر، النصر، كلم"، والتراتف: (الكثف = السفر)، والتضاد: (خفية = جهرا)، (لا تباع = لا تُشترى).
5. ترصيع الكلام بنثر البيان وجواهر البديع تزيينا للكلام وتجلية للمعاني.
- **أمن البيان:** التشبيه العثماني "كلم موسى الله في الطور خفية، وفي الأطلس الجبار كلمنا جهرا"، والاستعارة المكتبة: "أشربته حب الشهادة"، والاستعارة التصريحية "السمع الشداد" إذ شبه الشاعر سنوات الثورة بالسعوات السبع، والكناية عن الله تعالى "من وعد النصر".
- **ومن البديع:** التصريع (الفجر، السفر)، والاقتراب من القرآن الكريم "كلم موسى الله في الطور"، وطباق الإيجاب (خفية =/ جهرا)، (لا تباع =/ لا تُشترى).
5. **يغلب على النص الأسلوب البعري، وتتراوح أغراضه البلاغية بين الفخر: "نحن بنو الأشراف عرب طبايعا لا تضرع الفتن والغدرا... والسرود: "سقيا سفين الودع حمرا شرابها...، والوصف: "في ساحة التحرير سوق قوامها ضمائر قوم لا تباع ولا تُشترى".**
6. **تحديد المجاز:** "تستقلّ جزائر".
- **شرحه:** بدل إسناد الفعل (تستقل) إلى فاعله الحقيقي (الشعب الجزائري بمختلف فئاته) أسند إلى المكان (الجزائر) على سبيل المجاز العقلي.
- **سرّ بلاغته:** الخفة والإيجاز.

■ الملحق رقم (2): نص قصيدة "اللهب المقدس" للشاعر مفدي زكريا

ثورة الشرفاء

مفدي زكريا

أعرف على صاحب النص

مفدي زكريا (1913-1977 م) علم من أعلام الشعر الجزائري، وشاعر الثورة الجزائرية، وملهب همم أبطالها، ولسانها المدوي الثائر وصاحب النشيد الوطني الرسمي. تشبع بثقافة شعبه الأصيلة لغة وأدبا وعلميا دينيا بوادي ميزاب والزيتونة. ناضل في صفوف حزب الشعب ثم التحق بالثورة ودخل السجن عدة مرات بسبب نضاله. ولقد ترك لنا هذا الشاعر الفذ عدة دواوين شعرية منها «اللهب المقدس» و«إلياذة الجزائر».

تقدم النص

لايبد لثورة عظيمة - كثورة التحرير الجزائرية - من شاعر عبقري يولد من رحمها ويتشرب معينها، ليتسنى له صدق التعبير عنها. فهل كان مفدي كذلك في هذا النص؟

النص

- 1 - مَدَدْنَا خُيُوطَ الْفَجْرِ.. قُمْ نَصْنَعِ الْفَجْرَا
- 2 - وَثَقْنَا سَفِينِ (الْوَعْدِ) حُمْرًا شَرَاغِهَا
- 3 - وَرَثْنَا عَصَا مُوسَى، فَجَدَدَ حُصْنِهَا
- 4 - وَكَلَّمْ مُوسَى اللَّهَ فِي (الْعُلُورِ) خَفِيَّةَ
- 5 - تَبَارَكْتَ شَهْرًا، بِالْحَوَارِقِ طَافِحَا
- 6 - فَكَمْ كُنْتُ، يَا رَحْمَنُ .. فِي الشَّكِّ غَارِقَا

فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ

elbassair.net

الثورة الجزائرية

- 7 - ولَبَّاءُ شَعْبٌ، كَادَ يَفْقِدُ ظَنَّهُ
(بوعبدك) لولا أنه، يحفظ الذِّكْرَا
- 8 - وَاشْرَبَتْهُ حُبُّ الشَّهَادَةِ، فَأَرْغَمِي
على غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، تُلْهِبُهُ الذِّكْرَى
- 9 - وَفِي سَاحَةِ التَّحْرِيرِ، مُوقٌّ، قِوَامُهَا
ضَمَائِرُ قَوْمٍ، لَا تُبَاغُ، وَلَا تُشْرَى !!
- 10 - غَيْرَنَا عَلَى (السَّيِّعِ الشَّدَادِ) نَشْقُهَا
وَلَمْ تُثْنِنَا الْأَرْزَاءُ، أَنْ نَعْبُرَ (العُشْرَا)
- 11 - وَتَقَرَّضَ فِي الدُّنْيَا، احْتِرَامٌ وَجُودُنَا
وَنَشْتَرِي فِي أَحْلَافِهَا الرُّعْبَ وَالذُّعْرَا
- 12 - وَنَحْنُ بَنُو الْأَشْرَافِ، عُزْبٌ، طِبَاعُنَا
مَقْدَسَةٌ، لَا نُضْمِرُ الْغِشَّ وَالْغَدْرَا..
- 13 - فَلَا عِزَّ، حَتَّى تَسْتَقِلَّ جِزَائِرُ..
وَلَا مَجْدٌ، حَتَّى تَصْنَعَ الْوَحْدَةَ الْكَبْرَى ..

اللهب المقدس

أثري رميدي اللغوي

- في معاني الألفاظ:
- السُّفْر: الكتاب، الأرزاء: المصائب، الحجى: العقل، طافحاً: فائضاً، السبع الشداد:
- المقصود في النص سنوات الثورة التحريرية.

- في الحقل المعجمي:

- ابحث في القاموس عن معاني «بعث»
- ابحث في القاموس عن مشتقات كلمة «ثورة» ومعانيها.

- في الحقل الدلالي:

- استخرج من النص المصطلحات الدالة على المعجم الثوري والمعجم الديني (المستمد من القرآن الكريم).